بوزادة سهام

لأنني أحبها

رواية

كتوباتي
kotobati

لأنني أحبها

بوزادة سهام

رواية

الكتاب: لأنني أحبها
تأليف: بوزادة سهام
تدقيق: بوزادة سهام
النوعية: رواية
الإصدار: 2023
تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي
النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

www.kotobati.com
kotobati@gmail.com

كل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

بسم الله الرحمان الرحيم ...

في كل خطوة أخطوها للتقرب منها يردني والدها العصبي الذي لا يرضى بي زوجا لابنته ، ربما لأنني شخص بسيط لا ينتمي لطبقة الأغنياء الذين ينامون فوق وسائد من ريش النعام و ربما يتناولون طعامهم في صحون من ذهب و فضة .. لست أدري لماذا ينظر إلي باحتقار شديد حتى أنه يتجاهلني في كل مرة ألتقي به في السوق حيث ينزل من سيارته الفاخرة لشراء بعض الأغراض التي نادرا ما يشتريها بنفسه .. فيرمقني بنظرة حادة كأنه يحذرني من الاقتراب منه فقد تعود على إلحاحي الشديد للزواج من ابنته الصغرى فتارة أرسل والدي كي يتحدث معه و يقنعه و تارة أخرى أرسل جدي على أمل أن يخجل من شيبة رأسه فيقبل بي و يمنحني السعادة التي أتمناها رفقة من خفق القلب لها ولكن كل المحاولات قد باءت بالفشل ووضع حاجزا من فولاذ بيني و بينها متجاهلا رغبة ابنته التي رضيت بأن تكون زوجة لي طوال العمر ... أحيانا أشعر بأنه من كوكب آخر فطباعه حادة و نظراته قاتلة ، كل

أفراد عائلته ورثوا تلك الصفات التي لا يحبها أي مخلوق منه ما عدا مريم البنت الصغرى التي خطفت عقلي و قلبي و كل أنفاسي فجعلتني أسير كالأعمى باتجاه والدها في كل لحظة أراه فيها راجيا من المولى أن يجعل قلبه الصلب كالحجارة لينا كقطعة جبن ...

كنت جالسا في السوق بالقرب من صديقي المقرب و شريكي في العمل ياسر حتى لمحت والد مريم ينزل من السيارة فانتفضت من مكاني فزعا كأنني رأيت شبحا ، وضعت يدي فوق شعري مباشرة كي أنزل تلك الشعيرات التي صعدت للأعلى .. مسحت حبات العرق المتراكمة على جبيني و أخذت أحملق فيه بعينين واسعتين ...

" مالأمر يا إياد ؟ "

نظرت إلى ياسر قائلا :

" والد مريم يقترب منا يا ياسر .. ما رأيك لو أفتح معه الموضوع مجددا فربما قد يغير رأيه ؟ "

رد ياسر :

" بالله عليك أخبرني مالذي وجدته في تلك الفتاة حتى تأبى التخلي عنها بالرغم من رفض والدها لك ؟ "

ابتسمت قائلا :

" أتمنى لو أستطيع ذلك يا صديقي .. لكنني لا أرغب في التخلي عنها مطلقا حتى أنني مستعد لدخول حرب عنيفة من أجل الحصول عليها ..."

رفع ياسر حاجبيه ثم أضاف قائلا :

" كان الله في عونك يا رجل .. "

مع كل خطوة كان يخطوها اتجاهي أشعر بأن قلبي قد يخرج من محله في أي لحظة ... فدقاته قد تسارعت وحبات العرق قد انتشرت في كل أنحاء جسمي ... التوتر قد فرض هيمنته على أعصابي فكاد أن يحرقها حينها لولا وجود ياسر قربي لما استطعت تخطي تلك الدقائق القليلة بسلام ...

" هون عليك يا إياد .. لا داعي لكل هذا التوتر ، حتى أنني لا أظن بأنه سيتحدث معنا .."

قلت بتوتر :

" لا أدري .. ربما قد اقتنع أخيرا بأن ابنته لا ترغب في أحد سواي ... "

اقترب أكثر و أكثر إلى أن مر بجانبي و غادر بسلام دون أن ينطق بحرف واحد فأخرجت زفيرا قويا حارا يعادل تلك الموجات الحارة والعواصف التي كانت تعصف داخل قلبي ...

" لم يتحدث معي قط ... إنه رجل غريب حقا ..."

رد ياسر بغضب بعد أن وضع الصندوق الذي كان يحمله بقوة على الأرض :

" مالذي يختال نفسه هذا الرجل ؟ دعك منه ومن ابنته ... فليذهبا إلى الجحيم ..."

أجبت بنبرة لا تقل غضبا عن نبرته :

" فلنعد للعمل ... "

كنت أعمل رفقة ياسر في السوق حيث أصبحت سمعتنا الطيبة تسير في شوارع المدينة ليصير لدينا أكبر قدر من الأشخاص الذين يقبلون علينا كالنمل لشراء الخضر الطازجة ... لنصبح بذلك ميسوري الحال والحمد لله ... نقضي يومنا في العمل الذي نكسب به لقمة عيشنا ، فنعود للبيت في المساء والتعب قد فرض سيطرته على كل عضلة موجودة في جسمنا.

فور دخولي إلى المنزل توجهت إلى المطبخ حيث تجلس الوالدة حفظها الله و رعاها وهي مشغولة في تقشير البطاطا لإعداد وجبة العشاء .. فقد تعودت على تلك الروائح الزكية التي تدخل إلى أنفي دون استئذان فتفتح شهيتي في الأكل فور دخولي البيت في المساء ..

" مساء الخير والدتي .."

وضعت السكين من يدها ثم التفتت إلي قائلة :

" مساء الورد عزيزي ، لقد عدت أخيرا "

أجبت مبتسما :

" أجل .. وكما تعلمين فأنا جائع للغاية .."

" أعلم ذلك يا إياد ، سأسخن لك الحساء الذي تحبه .."

قلت :

" سلمت يداك والدتي ولكن ليس بعد .. سأستحم أولا ومن ثم يأتي دور الحساء .."

ابتسمت ثم أضافت :

"طبعا .. سوف أحضر لك ملابسك يا بني "

قلت معترضا :

" كلا ، لا داعي يا أمي .. سأدبر أمري لا تقلقي " .

أنا الابن الأكبر و أبلغ من العمر خمسة وعشرين سنة ، لي أخ أصغر مني بأربع سنوات يدعى جاد و هو يدرس في كلية الطب حيث سيصبح طبيبا كبيرا بعد سنوات إن شاء الله ... و أخت تدرس في الثانوية تدعى ميسون ، متفوقة في دراستها هي الأخرى حتى أنني أظن بأنها ستلحق بجاد و يصبح في عائلتنا أفضل الأطباء ، على عكسي تماما فأنا لا أحب الدراسة مطلقا مما حتم علي التوجه إلى العمل بعد رسوبي في امتحان شهادة البكالوريا لعامين متتاليين ، فقد سرت على خطى والدي الذي يعمل في السوق هو الآخر ... حيث اقترح علي هذا العمل فلم أرفضه مطلقا بل أقنعت صديقي ياسر كي نعمل معا وبالفعل أصبحنا شريكين فيه و نجحنا معا والحمد لله.

" إياد أين أنت يا بني ؟ "

كنت قد أتممت استحمامي للتو فأجبت :

" قادم يا أمي ، أمهليني لحظة من فضلك .."

قالت :

" لا تتأخر .. لا أريد أن يبرد الحساء مجددا .."

أجبت ضاحكا :

"حسنا ، أنا قادم .."

كنا نعيش في سعادة كبيرة والحمد لله فقد ترعرعنا في أحضان والدينا حيث تعلمنا الأدب و الأخلاق .. الجميع هنا يحبنا ، الجيران و الأصدقاء ، نظرا لسمعتنا الطيبة التي تعكس ظلها من خلال كل قول يخرج من أفواهنا أو فعل نقوم به ...

مشيت بخطوات متسارعة لأصل إلى المطبخ كي أتناول الحساء الشهي الذي تعده والدتي .. صراحة لم أذق ألذ و أطيب منه في حياتي كلها ، فهي تنافس أمهر الطباخين دون أي شك في ذلك .

" لقد اخترقت الرائحة الزكية أنفي يا أمي .. "

وضعت الخبز فوق الطاولة ثم أضافت قائلة :

" بالهناء يا ولدي ، أخبرني كيف كان يومك ؟ "

أمسكت الملعقة بيدي ثم قلت :

" بخير الحمد لله .. لقد رأيت والد مريم يا أمي ، مر بالقرب مني ..."

اصفر وجه والدتي ، حملقت بي بفضول منتظرة أن أروي لها ما حدث معي بالتفصيل ثم قالت :

" خيرا يا بني ، مالذي جرى ؟ هل تحدثتما ؟ "

أجبت بخيبة :

" كلا ، وهل يترك لي مجالا لذلك يا أمي ... كل مرة يراني فيها يتجاهلني تماما ، لست أدري لِم يرفضني بشدة ... "

أخرجت زفيرا قويا ثم قالت :

" والله أمره عجيب ، إن كانت الفتاة موافقة على زواجها منك فأين الخلل .. "

" أظن بأنه لن يرض بهذا الزواج مطلقا ... "

أجبت قائلا :

" سنرى ذلك يا أمي .. سنرى ... "

ثم أضفت :

" أين هي ميسون يا أمي ؟ "

ردت :

" في غرفتها تدرس كالعادة .. "

كان جاد في الجامعة حينها ، اعتدنا على غيابه حتى نهاية الأسبوع ... بعد لحظات دخل والدي العزيز إلى المطبخ مضيئا إياه بابتسامته العذبة ...

" مساء الخير .. "

نهضت من مكاني كي أقبل رأسه قائلا :

" أهلا والدي ، كيف حالك ؟ "

أجاب :

" بخير الحمد لله ... و أنت هل كان يومك جيدا ؟ "

ابتسمت قائلا :

" رائعا للغاية والحمد لله ، كما تعلم فإن زبائني كثر و قد انتهت كل الخضر ... "

" جيد ، كان الله في عونك يا بني ... "

قالت والدتي :

"وأنت يا فريد كيف كان يومك ؟ "

أجاب برضى :

" إن الحظ في صفي هذه الأيام أتمنى أن لا يهجرني مطلقا .. "

قلت :

" إن شاء الله..."

قال متسائلا :

" أين هي ميسون ؟ "

" في غرفتها .. "

قلت ذلك وأنا على وشك الخروج من المطبخ لأضيف بعد ذلك :

" سأصعد إلى غرفتي كي أرتاح قليلا .. "

أيدتني والدتي :

" نعم يا إياد ، فلترتح يا بني ... "

أضاف والدي قائلا :

" حتى أنا أشعر بأن عظامي قد انكسرت ، سأستحم و أستلقي قليلا ... "

ردت والدتي :

" ألن تتناول أي شيء ؟ "

" كلا ، لا داعي ... "

صعدت إلى غرفتي حيث أستلقي فوق سريري و أسبح في بحيرة واسعة من التفكير ... فمريم التي استولت على قلبي لم يسمح لي

والدها بجعلها تتربع في عرش بيتنا بعد أن تربعت على عرش قلبي ... أدعو الله في كل صلاة أن تكون من نصيبي ، أحلم بها ليلا و نهارا ... حتى هي تكن لي نفس المشاعر فقد أرسلت لها أختي ميسون قبل عدة أشهر لتبوح لها بنيتي الصافية نحوها وعن حبي الشديد لها .. لتخبرها هي الأخرى بأنها تحبني منذ وقت طويل فهي تقيم بالقرب منا و أراها كل يوم تقريبا ، فتتعانق نظراتنا بشدة ليزداد حبي وشوقي لها .

منذ أول يوم رأيتها فيه لم أكن أرغب فيها إلا حلالا ، أردت أن أجعلها من نصيبي و زوجة لي على سنة الله و رسوله غير أن والدها العنيد يأبى أن يحقق رغبتي وورغبة صغيرته المدللة لسبب مجهول ...

أنا مريم أظن بأنكم تعرفونني ، البنت الصغرى لعائلتي ومدللة والدي ... أعمل كممرضة في إحدى مستشفيات العاصمة ، أعيش رفقة عائلتي في ثراء فاحش فأبي رجل أعمال كبير يوفر لنا كل ما نحتاجه و أكثر ... ربما لا نعرف حق المعرفة نوعية العمل الذي يقوم به فهو لا يطلعنا عنه متحججا بأنها أمور خاصة به فقط ... لي أخت كبرى تدعى رشا و أخرى تدعى رزان وهي المقربة والأقرب إلى قلبي ... طوال عمري و أنا أتمنى لو كان لي أخا أستند عليه ، أضع رأسي على كتفه فور شعوري بالتعب .. أشكي له همومي و أحزاني ، أبوح له بما أشعر فربما سيساعدني في إقناع والدي كي يتقبل إياد .

فالجميع هنا بما فيهم والدتي و رشا يرفضون فكرة زواجي من إياد ، لست أدري لِم ولكنني لن أرض برجل غيره مطلقا وليفعلوا ما يحلو لهم .

" مريم ما رأيك في أن نخرج قليلا ؟ "

التفت نحو رزان قائلة :

" لا أريد يا رزان ، أنا مشوشة الفكر ولا أرغب في الخروج من البيت مطلقا .."

أمسكت رزان يدي بلطف ثم أضافت :

" مالأمر يا مريم ، أتزالين تفكرين في ذلك الشاب حتى الآن ؟ "

كل محاولات إياد لإقناع والدي قد باءت بالفشل حتى أنني أظن بأنه لن يطرق بابي مجددا ، لكنني ورغم مرور شهور على تكلمه مع والدي الذي رفضه بشدة لا زلت أنتظره بفارغ الصبر ... فوالدتي كل مرة تقول لي بأن أنساه و ألا أحلم به مطلقا و أختي رشا تحطم كل سقف أبنيه رفقته .

" كلا ، لا أفكر فيه مطلقا ... "

ابتسمت بخبث قائلة :

" وهل يمكنني تصديقك يا ابنتي ، أرى تلك اللمعة الجميلة في عينيك كلما تحدثنا عنه .. "

قلت بتوتر :

" كلا ، مالذي تقولينه ..."

" مالذي تريدين شراءه ؟ "

ردت :

" أرغب في شراء فستان جديد لهذا رغبت في أن نخرج معا ..."

نهضت من السرير قائلة :

" حسنا ، هيا فلتجهزي نفسك .. سأخرج رفقتك إذن ..."

قالت :

" خمس دقائق و أكون جاهزة .."

أجبت بسخرية :

" خمسة دقائق ! أظن بأنك تقصدين خمس ساعات .. "

ضحكت ثم أضافت :

". كلا ، لن أتأخر مطلقا ... هيا فلتسرعي أنت فقط ..."

توجهت إلى الخزانة حيث أضع مختلف الملابس الجميلة .. فساتين رائعة تزيدني جمالا كلما ارتديتها ... اخترت أجمل قطعة أملكها لارتداءها من ثم قمت بتسريح شعري الحريري لأسمح له بالانسدال على كتفي ...

" مريم ، ألم تجهزي بعد ؟ "

قمت بوضع رشة من العطر خاصتي ، التفت نحو الباب ثم قلت :

" بلا ، انتظري قليلا ... "

حملت حقيبتي اليدوية و خرجت من غرفتي رفقة رزان التي كانت بانتظاري ...

" لا أريد أن أقود السيارة يا مريم ... خذي سيارتك أنت "

ابتسمت ثم قلت :

" حسنا ، كما تريدين ... "

صعدنا إلى السيارة خاصتي وانطلقنا نحو المحلات التجارية كي نشتري بعض الفساتين الجديدة .

" مريم ، هنالك فستان رائع عند ذلك المحل ... صدقيني سيجعلك مبهرة .. "

" سوف أرى ذلك .. أي محل تقصدين ؟ "

أشارت بسبابتها نحو المحل المقصود ثم أضافت :

" لديه فساتين رائعة للغاية يا أختي .. هيا فلننزل مالذي تنتظرينه ؟ "

قلت :

" اصبري قليلا يا رزان ... دعيني أجد مكانا فارغا أركن فيه السيارة ... ماهذا الازدحام ! "

" هناك ، فلتركنيها هناك ... أنا متحمسة للغاية هيا "

اتجهت صوب المكان الذي أشارت عليه رزان ، ركنت السيارة ونزلنا منها متجهتين نحو المحل .

" أظن بأن الفساتين في الطابق العلوي .. فلنصعد هيا ..."

أجبت :

" مابك مستعجلة هكذا ... فلنرى هنا ومن ثم نصعد إلى الطابق العلوي .."

تأفأفت ثم ردت :

" حسنا ، كما تشاءين ... "

أخذت أنظر إلى الملابس الموجودة هناك ، لم تثر إعجابي ولا إعجاب رزان أي قطعة فصعدنا إلى الطابق العلوي مباشرة ...

" لقد قلت لك بأن الفساتين الجميلة في الطابق العلوي لا السفلي ... "

قلت :

" لا بأس ، لا ضرر في أن نرى ... "

بعد ما يقارب الساعة اشترينا ما كنا نرغب به ثم خرجنا من المتجر ...

" لو أن رشا أتت معنا ... " .

ضحكت رزان ثم أضافت :

" سنأتي مع بعض مرة أخرى ... حتى أمي ستسر بهذا كثيرا "

" لقد أعجبني هذا المتجر كثيرا يا رزان ، متى فتح ؟ "

قالت :

" منذ أسبوع تقريبا ... لست أدري "

قدت سيارتي نحو الطريق المؤدية للسوق كي ألمح إياد ولو من بعيد ... بيد أن رزان لاحظت ذلك فقالت بخبث :

" أتريدين رؤية إياد ؟ "

نظرت إليها قائلة :

" كلا ، أريد اختصار الطريق فحسب ..."

لم تقتنع بكلماتي تلك فردت :

"يالهذه الحجة يا فتاة ... ألم يقل لك أحد من قبل بأنك لا تجيدين الكذب مطلقا ؟ "

أجبت بنفاذ صبر :

" لست أدري لماذا تقفون بيني وبين إياد ... إنها حياتي الخاصة ويحق لي أن أعيشها كيفما أشاء ... "

" أنا لا أقف بينك وبينه يا فتاة ولكنك تعرفين طبع والدنا ... لن يغير رأيه مطلقا ..."

أجبت :

" سيغير ... سيغير إن وقفتن إلى جانبي ... أنتن لا ترغبن به أيضا "

ردت :

" أنت تعرفين والدنا جيدا يا مريم ... لن تجرؤ أي واحدة منا أن تقف في وجه قراره .. "

إن والدي حاد الطباع ، عصبي و لا يحبذ أن يقف أي شخص في طريقه ... إن عزم على شيء فإنه لن يعود للوراء مطلقا ...

وصلنا إلى السوق أخيرا .. أخذت ألتفت يمينا وشمالا ، أبحث بعيني عن إياد و لكنني لم أجد له أي أثر ... أخيرا وجدته وسط الاكتظاظ .. أشخاص كثر يحيطون به ، لولا طوله لما استطعت رؤية وجهه الجميل و عينيه السوداوتين كظلام الليل ... لم يلحظ وجودي في البداية ولكنه سرعان ما وجه نظره نحوي فكدت أن أطيرا فرحا ..

" مريم ، لقد رأيته فلنذهب قبل أن يلحظنا شخص آخر ... "

قلت بغضب :

" فليلحظ ... لا يهمني أي أحد ..."

أمسكت بيدي قائلة :

" إن علم والدي فإنه سيغضب كثيرا ... فلنذهب رجاءا ..."

نظرت إليها بنظرة حادة ثم قلت :

" فهمت ... سنذهب اطمئني .. "

انتهزت الفرصة لأنظر إلى إياد ولو لدقائق معدودة ... مسافة قصيرة بيننا و لكن الحواجز كثيرة ... أقدامي مقيدة برفض والدي ، فإن تجرأت على المضي نحوه فإن الخبر سيصل كالقنبلة له و لا أدري مالذي سيقدم عليه حينها .

" مريم ، انطلقي رجاءا ..."

لم أكن أريد أن أذهب مطلقا فلو الأمر بيدي لمكثت بالقرب منه حتى تشبع عيناي من رؤياه .. ولكن ماباليد حيلة ويجب أن أغادر فورا خوفا من والدي ... أدرت مفتاح السيارة لأمسك بالمقود و أنطلق بعيدا عن الشخص الذي أرغب به.

" هل ارتحتِ الآن ؟ "

أخرجت رزان زفيرا قويا ثم ردت :

" لن أخرج معك مجددا ... ألا تعلمين بأن والدي سيقيم حربا إن سمع بهذا "

" أوف ، مالذي سيحصل مثلا ؟. ... "

قالت :

" إلى البيت مباشرة .. لقد أتعبتني للغاية ..."

اتجهت نحو المنزل بسرعة فائقة .. استقبلتنا الخادمة عند الباب ...

" عزيزتي مريم ، إن والدك غاضب للغاية ... "

ردت رزان بخوف :

" ولِم ؟ "

أجابت بكلمات متقطعة :

" سمعته يصرخ ... الأمر متعلق ... متعلق بشاب يدعى إياد ... "

" إياد ؟ مابه مالذي حدث له ؟ "

رمقتني رزان بنظرة حادة قائلة :

" وتسألين يا مريم ... لا تتفوهي بأي حرف أرجوك ... "

ثم أضافت قائلة :

" فلنصعد هيا ... "

كان التوتر واضحا علي من خلال كلماتي المرتجة :

" إلى أين ؟ "

ردت بنفاذ صبر :

" إلى الجحيم ! "

" هيا فلنصعد هيا ... "

لم أكن أريد أن أصل مطلقا ، فأنا أدرك بأن والدي بانتظاري كي ينفجر في وجهي ... لهذا فقد أنقصت من سرعتي قدر الإمكان ...

" مريم ، أسرعي قليلا ... "

قلت :

" أنا خلفك مباشرة ... "

حاولت الفرار و الدخول إلى غرفتي بسلام و أمان غير أن صوت أبي الحاد جعلني أقف في مكاني كشجرة أتعبتها الرياح ...

" مريم ... تعالي فورا ... "

مكثت كالبلهاء حتى أتت والدتي ...

" مريم .. والدك يريدك ... "

" هل الأمر متعلق بإياد ؟ " قلت بصوت خافت لا يكاد يسمع .

أومأت برأسها " نعم " .

عادت إلى الغرفة لأتبعها والخوف قد سيطر على كل جسمي ... أشعر بألم في بطني ، قلبي يخفق بسرعة كبيرة ...

ما إن دخلت حتى رمقني بنظرة حادة كذئب مفترس انتظر قدوم فريسته لمدة طويلة ...

" أين كنت يا مريم ؟ "

تشابكت أصابعي فيما بينها ... عجز لساني عن تكوين أي جملة مفيدة ...

" كنت ... كنت في ... "

صرخ قائلا :

" أين ؟ "

ابتلعت ريقي ثم أضفت :

" لقد ذهبنا لاشتراء بعض الأغراض ... "

" ثم إلى أين ؟ "

كانت رزان تقف بالقرب من أمي ، نظرت إليها برجاء على أمل أن تنقذني مما أنا فيه لتأتي صفعة أخرى على شكل صراخ قوي ..

" أنا أتكلم معك ... لا تجعليني أفقد أعصابي ... "

قلت :

" لم أذهب لأي مكان .. "

اقترب مني أكثر و أكثر ثم أخذ شهيقا قويا يتبعه زفير حار ليقول بعد ذلك :

" لن أعيد كلامي مجددا .. إن سمعت بأنك تحومين حول ذلك الشاب المعتوه لن تتوقعي ما يمكنني فعله .."

نظرت إليه بحيرة ...

" من الذي أخبرك بهذا يا أبي ؟ "

استدار ثم أضاف :

" أنا أراقبك في كل مكان تذهبين إليه .. لهذا لا تلعبي معي مطلقا .. "

بعد تفعيل والدتي الوضع الصامت منذ دخولي الغرفة قررت أخيرا أن تتكلم فقالت محاولة تغيير الموضوع بالكامل :

" وجبة الغذاء جاهزة يا عزيزي .. دعنا من هذه الأحاديث ... "

رد بوجه تهيمن عليه النظرات الحادة :

" أخبري ابنتك بأنها إن كررت هذا مجددا فستعاقب ... "

حملت جسدي الذي شله الخوف والتوتر وخرجت بسرعة متجهة نحو غرفتي الموجودة في آخر الرواق ...

" مريم .. انتظري "

كانت رزان تلحق بي بخطوات متسارعة ولكنني حاولت تجاهلها ففتحت الباب على مصراعيه ودخلت دون أن أكترث لها ، فتدخل هي الأخرى قائلة :

" لقد حذرتك ولكنك لا تسمعين مني .. "

أجبت بغضب :

" لقد ابتلع القط لسانك منذ قليل لهذا أرجو أن لا تتكلمي معي مجددا .. "

اقتربت مني قائلة :

" مالذي سأقوله يا مريم ... وهل أستطيع أن أتكلم ووالدي غاضب هكذا ؟ "

" لا ... لا تتكلمي ... أي أخت أنت يا هذه ؟ " . قلت هذا وجلست فوق سريري فتصمت رزان ولا تنطق بحرف واحد ...

أضفت قائلة :

" مابه إياد ؟ مالعيب الذي فيه حتى لا يرضى بأن يزوجني إياه ؟ "

سيل من الكلمات قد خرج من فمي الذي التزم الصمت لشهور عدة ...

" لماذا لا يحترم قراري ... أنا كبيرة و من حقي أن أختار شريك حياتي ... لو رشا في محلي لاستقبله بصدر رحب .. ولكنني أنا ... أنا ... لا أحد يهتم لأمري ... لا أحد ... "

عانقتني رزان بحرارة مواسية لي و لقلبي المنكسر ، فالدموع قد أخذت حصتها مني و الألم شق طريقه نحو صدري لتنقبض العضلة الموجودة يساره ...

حينما رأيت مريم في السوق لم أستطع أن أتمالك نفسي ، ظللت أحملق فيها كالأبله ... اخترقت زجاج السيارة اللعين و أخذت أدقق النظر إلى أن انطلقت ... ذهبت و رحلت بعيدا عني .

أوشكت على الغرق في أحلامي الوردية حيث نعيش أنا و مريم في جو مليء بالحب و الحنان لولا صوت الرجل الصاخب الذي أتى كي يشتري بعض الخضر .

" سنبيت هنا أم ماذا ؟ ... "

اقترب ياسر مني قائلا :

" والله لا أدري إلى متى ستبقى على هذا الحال .. "

كان ياسر الشاهد الأول على قصة حبي العظيمة .. ففي كل الحالات يدعمني و يقف بقربي ، لا يتركني مطلقا .. نحن أصدقاء منذ الطفولة حيث درسنا و لعبنا ، ضحكنا و بكينا معا ... و الآن نعمل مع بعضنا البعض .

قلت :

" لست أدري و لكن قلبي لا يرغب في أي فتاة أخرى .. ماذا عساي أفعل يا ياسر ؟ "

وضع ياسر يده فوق كتفي ، ابتسم ثم أضاف :

" أتمنى أن تجتمعا يا صديقي .. "

" إن شاء الله يا ياسر .. إن شاء الله .. "

حملت أحد الصناديق الموجودة في السيارة ووضعتها في الأرض .. جلست فوقه أنظر إلى الازدحام الموجود في السوق ، أتيه في بحر واسع لا أجيد السباحة فيه بمهارة فأعاود الخروج منه بخيبة .

" بدأت أشعر بالجوع ، سأذهب لشراء بعض الشطائر و أنت ابق هنا ... "

نظرت إلى ياسر مؤيدا ثم قلت :

" حسنا ، لا تتأخر ... أحضر معك مشروبا غازيا .. "

" لا شك في ذلك .. " قال ذلك وغادر مباشرة .

بعد مضي ربع ساعة تقريبا عاد ياسر يحمل الشطائر في يده مع المشروب الغازي الذي أنا مدمن عليه بالرغم من تسببه لي بالآلام ..

" لقد تأخرت كثيرا ، أيوجد ازدحام هناك كذلك ؟ "

وضع ما أحضره بالقرب مني ثم أحضر صندوقا فارغا كي يجلس فوقه ...

" إنه أمر بديهي يا إياد .. هيا فلنأكل .. "

شرعنا في الأكل فالجوع قد شيد قلعته في بطوننا ..

كان العمل يقيدنا ، من الصباح حتى المساء ... فلا أعود إلى البيت إلا بعد أن تخور قواي ...

تصادفت في الطريق مع والدي فصعد إلى السيارة ..

" الحمد لله ... لقد تعبت للغاية يا ولدي .. "

قلت :

" لماذا لم تتصل بي يا أبي ، كنت سآتي إليك فورا .. "

" لا داعي أنا بخير .. "

قلت بفضول :

" هل تحسن جدي ؟ "

رد مبتسما :

" الحمد لله إنه كالحصان .. "

" وكيف كان نهارك ؟ "

قلت مبتسما :

" كباقي الأيام .. لا شيء مميز "

المميز في أيامي وكل حياتي هو تلك الفتاة التي سحرتني .. في لحظة أوشك على التخلي عن كل أحلامي التي بنيت سقفها وقلبي ينبض حبا لها غير أنها تظهر أمامي من جديد فتطرد شبح النسيان والتخلي عن طريقي لأواصل السباحة في بحر هواها .

حينما اقتربنا من البيت لمحت جاد يقف مع صديق له ..

" أبي ، انظر لقد أتى جاد .. "

أجاب بتعجب :

" ألا يدرس حتى يوم الخميس ! لِم أتى اليوم ؟ "

قلت :

" ربما لا يدرس غدا و بعد غد .. "

ركنت السيارة بالقرب من جاد الذي أتى نحونا فور رؤيته لنا ...

" أبي ... "

عانق والدي بحرارة ليقبل نحوي بعد ذلك قائلا :

" كيف حالك يا أخي ؟ "

" بخير الحمد لله وأنت يا طبيبنا ... " قلت ذلك بعد أن وضعت يدي فوق كتفه .

أجاب مبتسما :

" لم أصبح طبيبا بعد يا إياد .. لا تبالغ .."

رد والدي :

" ستصبح إن شاء الله .. صحيح لماذا أتيت اليوم يا ولدي ؟ "

رد بسرعة :

" لن أدرس غدا يا أبي لهذا حضرت .. "

قلت :

" جيد ، فلندخل للبيت هيا .. "

فور دخولي إلى المنزل توجهت نحو دورة المياه لأغسل يدي .. من ثم إلى الصالة مباشرة ...

" ميسون أنت هنا ... كنت أظن أنك في غرفتك تدرسين كالعادة ... "

قالت :

" كلا ، سأدرس بعد قليل .. "

رد جاد بتفاخر. :

" فلتدرسي بجد كي تنجحي يا ميسون ... انظري إلي ... "

ابتسم والدي مجيبا :

" أجل ... أنا فخور بك للغاية يا ولدي "

قلت ممازحا :

" ألا تفتخر ببائع الخضر يا والدي ؟ "

" أفتخر كثيرا يا إياد ... "

أضافت والدتي قائلة :

" ميسون فلتحضري القهوة يا ابنتي هيا .. "

ذهبت ميسون إلى المطبخ لتحضير القهوة بينما أخذنا نتناول أطراف الحديث فيما بيننا نحن الثلاثة لحين عودتها بعد فترة وجيزة .

" لقد أتت القهوة ... "

نظرت والدتي إلى الصينية ثم قالت :

" أين المربى يا ميسون ؟ "

وضعت يدها فوق رأسها قائلة :

" أخرجته من الثلاجة و لم أضعه في الصينية ... سأحضره الآن ... "

رد والدي :

" حدث خيرا يا ابنتي .. "

عادت ميسون من جديد إلى المطبخ كي تحضر المربى أما أنا فقد نهضت من الأريكة متجها صوب المائدة حيث القهوة ...

" اجلس بني سأصب لك الآن "

قلت :

" كلا ، لا داعي يا أمي .. سأصب بنفسي للجميع .. "

ضحك جاد مضيفا :

" إن وراء الأمر حكاية .. "

أجبت مجاريا له :

" حكايات يا جاد و ليست مجرد حكاية واحدة .. "

نظرت إلي والدتي بفضول قائلة :

" حكايات ؟ مالأمر يا بني .. "

ترددت نوعا ما في بادىء الأمر غير أنني أطلقت العنان لكلماتي كي تخرج كرصاصة قوية من فوهة مسدس جندي تعب من الحرب التي خاضها في سبيل تحقيق مراده ...

" لأكون شديد الصراحة .. أقول بيني وبين نفسي ... ماذا لو تكلمنا أنا ووالدي مع أب مريم مجددا ! "

انزعج والدي من كلامي فأجاب بغضب :

" عفوا ! مالذي قلته ؟ "

" نتكلم معه مجددا .. " قلت ذلك بعد أن عدت إلى مكاني حاملا في يدي فنجان القهوة الساخنة .

أيدتني ميسون قائلة :

" نعم يا أبي .. الفتاة موافقة على الزواج منه غير أن والدها يقف كالجدار في الوسط ... "

ردت والدتي :

" فريد ، تكلم معه للمرة الأخيرة من أجل ابنك .. "

" ومالذي يمكنني فعله يا خديجة ، إنه لا يرضى بهذا الزواج ...أأضع السكين على رقبته كي يبارك لهما ؟ "

قلت :

" أعدك بأنها ستكون المرة الأخيرة .. "

أجاب بنفاذ صبر :

" طبعا ستكون الأخيرة .. لا أرغب في رؤية وجهه مجددا ... "

رد جاد الذي اكتفى بالصمت للحظات :

" ستراه كل يوم يا والدي إن قبل بهذا الزواج .. "

أتمنى أن يرضخ للأمر الواقع ويرضى بي زوجا لصغيرته ، أدعو الله أن يجمعني بها حلالا في أقرب وقت ممكن ... فقد تلفت أعصابي من التفكير المتواصل ، منذ شهور تكلمت معه وواصلت الذهاب إليه حتى ضجر مني ... مرسلا إلي رفضه عن طريق تجاهله المستمر لي ...

بعد انتهاء حديثنا الطويل رفع آذان المغرب على مسامعنا .. توجهت نحو دورة المياه للوضوء ومن ثم إلى غرفتي لتأدية الصلاة .

قرع خفيف على الباب ...

" تفضل بالدخول "

دخلت ميسون إلى غرفتي قائلة :

" لقد حضرنا مائدة العشاء .. فلتنزل هيا "

قلت :

" لا يزال الوقت مبكرا يا ميسون .. "

ردت :

" لا ، نحن جياع هيا فلتنزل "

" حسنا ، سألحق بك بعد دقائق "

قالت :

" لا تتأخر ... "

بعد ثوان لحقت بميسون لأنضم إلى وجبة العشاء ..

" اجلس يا بني .. "

جلست فوق الكرسي بالقرب من أخي جاد ، أخذت كأسا و ملأته بالمشروب الغازي ..

" إياد ، لا تكثر من المشروب الغازي .. "

التفت إلى والدتي قائلا :

" حاضر سيدتي ، كما ترغبين .. "

تعودنا على السهر يوميا ، نحكي لبعضنا البعض عن نهارنا وكيف قضيناه .. نتشاور فيما بيننا عن الأمور الدنيوية و مستقبلنا الذي نتمنى أن يكون مشرقا .

تحضر ميسون الشاي الذي نتناوله رفقة المكسرات .. فنجتمع في غرفة المعيشة نتغنى بحديث يبهج القلب ..

" إياد سأمر عليك في السوق غدا و نذهب معا إلى والد مريم .. "

قلت ببهجة :

" اتفقنا يا والدي ... "

ابتسمت ميسون قائلة :

" كان الله في عونك ... "

بعد مضي الساعات توجهت إلى غرفتي فقد نال التعب مني و جاءني سلطان النوم الذي منعني من التفكير ... وضعت رأسي فوق الوسادة ، أغمضت عيناي و سبحت في بحر النوم الواسع .

جلست في غرفتي مكسورة الخاطر ، أفكر في كلام والدي ... لن يوافق على هذا الزواج مطلقا ، أكاد أختنق لا أستطيع أن أتنفس .. لقد سرق مني بهجتي !

مرت الساعات و أنا في غرفتي ، تارة تأتي رزان إلي طالبة مني أن أتناول أي شيء و تارة أخرى تأتيني الخادمة حاملة صينية أكل فتعود هي الأخرى من حيث أتت .. قضيت منتصف النهار حبيسة في غرفتي ، تجول الأفكار في رأسي كخلية نحل .. تحدث ضجة كبيرة داخلي ، متداخلة فيما بعضها ... تتصادم بين الفينة و الأخرى لتحدث صداعا رهيبا على مستوى رأسي الذي أتعبته بالتفكير الذي لا ينتهي .

بعدما أفرغت كل همومي و شعوري السيء حيال ما يدور من حولي من أحداث لا أرغب فيها مطلقا .. خرجت من غرفتي متسللة كلص يحاول أن ينهب بيتا ما !

" آنسة مريم ، أتريدين شيئا ما ؟ "

فاجأني صوت الخادمة التي كانت تتجه صوب المطبخ أيضا ... تبا .. ألم تجد وقتا آخر للمجيء ..

قلت :

" كلا ، لا أريد أي شيء .. شكرا "

كانت عصافير بطني تزقزق فالجوع قد سيطر على معدتي فباتت تصدر أصواتا كأنها تطلب مني نجدتها و إسكاتها بأي شيء صالح للاستهلاك ..

أضفت قائلة :

" بلا ، أريد تناول وجبة العشاء في غرفتي .. "

ردت مبتسمة :

" كما تريدين يا آنسة .. أتأمرين بشيء آخر ؟ "

قلت :

" كلا ، شكرا ... أريد أن أسألك أين والدي ؟ "

قالت :

" لقد خرج منذ قليل ولكنه قال بأنه سيعود بعد ساعة على الأكثر .. "

" حسنا .. ". قلت ذلك و عدت أدراجي إلى غرفتي .

لم أكن أرغب في رؤية والدي في تلك الليلة و لكنه طلبني فور عودته لتأتي أختي رشا قائلة :

" مريم ، أبي يريدك .. لا تكوني عنيدة الأمر لا يستحق كل هذا العناء .. "

نظرت إليها ، قائلة بخيبة أمل :

" يقولون أن الأخت الكبرى سند و مثل الأم تماما .. غير أنني لا أرى ذلك مطلقا .. "

" ومن قال أنني لست كذلك ؟ أنا فقط لا أعارض قرار والدي ما دام مصرا على ذلك ... "

و دون أن أزن الكلام الذي خرج من فمي .. قلت بانفعال :

" أتمنى لو أنك لم تكوني أختي .. ربما كنت سأحضى بأخت أفضل منك ..."

خرجت من غرفتي مستاءة مما قلته لها ، أما أنا فلم أنتبه لذلك من شدة انزعاجي منها لأدرك ذلك بعد الاجتماع الطارىء الذي ترأسه والدي ..

" أتحبسين نفسك في الغرفة بسبب ذلك المعتوه يا مريم ؟ "

كان والدي في مزاج سيء للغاية لهذا لم أرغب في إشعال بركان غضبه فينفجر في وجهي كحمم نارية تحرق فؤادي ..

" كلا .. ليس الأمر كذلك "

" ما الأمر إذن ؟ "

ردت والدتي :

" إنها تشعر بالتعب لهذا التزمت فراشها قليلا ... "

قلت :

" نعم .. كما قالت أمي .. "

" إن ابنتك المدللة تقول بأنني أخت سيئة حتى أنها تتمنى لو أنني لم أكن أختها الكبرى ... "

اندهشت من كلام رشا ، سلطت نظري عليها ثم قلت :

" ماذا !! "

ردت بانزعاج واضح من نبرة صوتها و ملامحها :

" لا تدعي البراءة .. ألم تقولي ذلك قبل قليل ؟ "

قلت :

" تقصدين الكلام الذي قلته ... لم أقصد ذلك يا رشا .."

أضفت قائلة :

" آسفة للغاية .. "

رمقني والدي بنظرات الشك و الاتهام قائلا :

" هل قلتِ ذلك فعلا ؟ "

أجبت بتوتر :

" لم أقصد ما قلته .. "

أنقذتني رشا مما أنا فيه حين قالت :

" لا بأس .. لم يحدث شيء يا والدي .. "

كانت رزان منشغلة بهاتفها .. فلم تكن مركزة معنا مطلقا ، حتى أنني شعرت بأنها تسبح في عالم آخر .. فهي ترسل الابتسامات تارة و تنظر إلي نظرة خاطفة لتعاود الرجوع إلى هاتفها تارة أخرى ..

طلبت والدتي من الخادمة أن تحضر وجبة العشاء .. فنشرع بتناولها بعد ذلك مباشرة ..

" إنه لذيذ للغاية .. "

ردت والدتي :

" رزان ، حينما يتعلق الأمر بالأكل تكونين الأولى ... لا أخشى عليك مطلقا "

ضحكت قائلة :

" فعلا .. لذلك هي تسمن بسرعة فائقة .. "

لم يكن والداي قريبين منا كثيرا .. فمعظم الوقت لا نجتمع بهما إلا في طاولة العشاء ...

علاقتي بوالدي لم تكن لتسمح لي بالتعبير عما يختلج صدري .. أن أبوح بالألم الذي سببه رفضه للشاب الذي أريده لم يكن متاحا لي مطلقا .

رغم اختفاء بصيص الأمل ولو كان ضئيلا عن قصتي غير المكتملة غير أنني أحاول إقناع نفسي بأن الغد سيكون أجمل ... أحلم باليوم الذي تعلو فيه الزغاريد معلنة بداية حياتي الجديدة رفقة إياد .

فرغنا من الطعام فتوجه كل واحد منا إلى غرفته .. لم نعتد على السهر مع بعضنا البعض ... فوالدي يخرج بعد صلاة العشاء مباشرة أما أمي تخلد إلى النوم مبكرا ... و رشا تسهر رفقة خطيبها عبر الهاتف ، حيث تؤلف له حكايات و قصص ...

نسيت أن أخبركم بأن أختي رشا مرتبطة بأيمن .. كانا يدرسان معا منذ مرحلة الثانوية ليكبر الحب الذي بينهما خلال تلك الفترة فيكلل بالخطوبة التي تمت قبل عام كامل ، يعمل أستاذا في نفس الثانوية التي بدأت قصة حبهما فيها أما أختي فهي تعمل محامية ... تتقن عملها بمهارة و إن واصلت سلسلة نجاحاتها فإني أبصم بالعشرة بأنها ستصبح أفضل محامية في المنطقة .

اتصلت بصديقتي أريج كي أدردش معها قليلا .. تعمل في المشفى هي الأخرى ...

" كيف حالك أريج ؟ "

" بخير الحمد لله وأنت ؟ "

قلت :

" الحمد لله .. ستعملين غدا أليس كذلك ؟ "

ردت :

" نعم سأعمل ... أتأتين إلي صباحا و تأخذينني معك إلى المشفى ؟ "

قلت :

" طبعا .. "

قالت :

" وهل من جديد أخبريني ! "

قلت :

" لا شيء ، أكاد أختنق .. "

أجابت قائلة :

" إياد أليس كذلك ! "

قلت :

" بلا ، تعلمين بأنني أحبه و لا أرغب في غيره .. " .

ردت :

" نعم ، أعلم ذلك .. أمي تناديني .. سأعاود الاتصال بك بعد قليل .. "

قلت :

" حسنا ، اعتني بنفسك .. وداعا "

" وداعا .. "

فور انتهاء المكالمة وضعت الهاتف بالقرب مني .. استلقيت و أخذت أفكر كالعادة .. فكري مشغول بإياد حتى أنني لا أستطيع التوقف عن التفكير به .. أتقلب يمينا و يسارا ، تارة أغمض عيني و تارة أفتحهما ... أنهض من السرير و أجول في الغرفة ذهابا إيابا عسى أن يزورني النوم و لكن دون فائدة .. استغرق الأمر أكثر من ثلاث ساعات حتى شعرت بالتعب و غصت في بحر النيام .

في صبيحة اليوم التالي استيقظت بكل حيوية ونشاط لتأدية صلاة الفجر قبل خروجي إلى العمل .. كانت والدتي حفظها الله تستيقظ للصلاة يوميا فتعد لي القهوة الساخنة التي تفتح عيني و كل حواسي ... توجهت نحو المطبخ حيث رائحة القهوة تملأ المكان لتخترق أنفي مباشرة ..

" صباح الخير أمي .. "

" صباح الياسمين عزيزي .. كيف حالك ؟ "

بابتسامة تنبع من القلب قلت :

" بخير الحمد لله .. ألم يستيقظ والدي بعد ؟ "

قالت :

" بلا ، سيصلي و يأتي .. "

ثم ابتسمت و أضافت :

" وجهك مشرق اليوم .. مالأمر ؟ "

أجبت ببهجة :

" معك حق .. صراحة أنا متفاءل للغاية يا أمي .. "

" فلتقل من البداية أنك مسرور بسبب مريم .. "

شعرت بالخجل قليلا غير أنني قلت ضاحكا :

" أجل ... سأطلبها ثانية و إن لم يقبل سأعاود الكرة ... ثالثا و رابعا ... و عاشرا ! "

استقبلت طبلة أذني صوت والدي و هو يتنحنح .. التفت إليه قائلا :

" صباح الخير والدي ... "

رد قائلا :

"صباح الورد ... "

جلس بالقرب مني ثم أضاف :

" السيد إياد يقول بأنه لن يكل و لن يمل حتى يحصل عليها .."

ضحكت والدتي مجيبة إياه :

" دعه يفعل مايشاء .. عسى أن تنكسر شوكة والدها و يقبل . "

قلت :

" إن شاء الله ... "

توجهت إلى السوق رفقة والدي ليلحق بنا ياسر بعد ذلك ...

" صباح الخير ، كيف حالكم ؟ "

أجاب والدي :

" صباح الخير .. نحمد الله و أنت كيف حالك ؟ "

رد مبتسما :

" الحمد لله .. غير أنني لم أشبع النوم مطلقا "

ضحكت مضيفا :

" والله حتى أنا .. "

" سأذهب إلى عملي الآن .. كما اتفقنا ليلة أمس يا إياد .. "

قلت ببهجة :

" طبعا والدي .. وفقك الله " .

بعد مغادرة والدي ظل ياسر يحدق بفضول ..

" مالأمر يا ياسر ؟ لِم هذه النظرات ؟ "

رد قائلا :

" مالأمر الذي يحاك بينك وبين والدك ؟ "

ضحكت مضيفا :

" يالهذا الفضولي الذي ابتليت به .. لقد اتفقت مع والدي للتحدث مع أب مريم من جديد .."

رد باندهاش :

" تتحدثان معه من جديد ! "

قلت :

" نعم .. أتظن بأنني سأستسلم بهذه السهولة .. "

" والله أمرك عجيب .. حتى والدك فاجأني ، لو أنني محلك لن يقبل والدي مطلقا بهذا .. "

قلت :

" والدي يعلم جيدا بأن سعادتي مع مريم لهذا فهو يقدم لي هذا المعروف .. لو يقبل يا ياسر أقيم عرسا بهيجا تسمع به كل الجزائر .. "

رد مبتسما :

" إن شاء الله .. فليسعد الله قلبك يا رفيقي "

قلت :

" آمين و قلبك أيضا .. هيا العمل ينتظر " .

تعودنا على النهوض باكرا و العمل بكل جد .. بالنسبة لي هذا اليوم مميز للغاية ، فالتفاؤل قد رسم على شفتي ابتسامة ساحرة لم يسبق أن رأيتها من قبل ... أوزع الابتسامات كالأبله على كل من هب ودب ، كنت غريبا نوعا ما حينها .. فياسر قد لاحظ سروري المبالغ فيه كما وصفه حين قال :

" يا رجل ما بك ، من يراك هكذا يقول بأنك ربحت جائزة عظمى .. "

قلت :

" مريم أغلى من أي جائزة بالنسبة لي .. أنا مبتهج للغاية .. "

رد ياسر :

" أدرك ذلك و لكنك تبالغ قليلا ... "

صمت قليلا ثم أضاف:

" و إن يكن أتمنى لك السعادة يا صديقي .. "

قلت :

"إن شاء الله ، أدام الله نبض قلبك ".

شرعنا في العمل الذي لا ينتهي مطلقا والذي بات جزءا لا يتجزأ منا .. وكأننا نستيقظ كل صباح من أجله فحسب !

بعد مضي الساعات بين الأخذ و العطاء في الأحاديث التي لا تنتهي مع العمل حل المساء أخيرا بعد انتظار طويل ... كأن الوقت أصبح بطيئا فجأة ! و كأنه يجاكرني و لا يرغب في وصوله للساعة التي أطلب فيها عزيزتي مجددا .

أقبل والدي نحوي ضاحكا مبعدا الخوف الذي جعل قلبي يرتج ... بدأ التوتر يشق طريقه نحوي ، حبات العرق قد تراكمت على جبيني .. بدأت الأفكار المخيفة تقتحمني ، ربما لن أحض بمريم ! ربما لن يكون لي نصيب معها .. كلا ، يجب أن أكون متفائلا ، سأكافح للحصول عليها ... ستكون بمثابة الانتصار العظيم الذي تحصل عليه القطعة الموجودة يسار قلبي بعد العديد من المعارك التي خضتها أملا في كسر شوكة والدها ... فقد نفذ صبري خاصة أن المسافة بيني و بينها أصبحت كبعد السماء عن الأرض ...

" هيا إياد فلنذهب ..."

قلت بتوتر :

" الآن ؟ "

رد ياسر ضاحكا :

" لا ، العام المقبل ... مابك يا رجل "

قلت :

" لا شيء .. "

ربت والدي على كتفي مضيفا :

" لا داعي للقلق ، ألم تكن متحمسا للغاية ليلة أمس ؟ أم غيرت رأيك ؟ "

أجبت بسرعة فائقة :

"وهل يمكن أن أغير رأيي ، سنذهب فورا .. "

" أتذهب إلى منزله أم ماذا ؟ "

نظرت إلى ياسر قائلا :

" على الأغلب .. "

هز والدي رأسه معترضا ، مضيفا بعد ذلك :

" كلا ، سنمر بالقرب من المقهى التي يجلس فيها عادة عسى أن نجده "

قلت :

" و إن لم يكن هناك ؟ "

أجاب ياسر :

" تذهبان إلى منزله ، الأمر واضح .. "

رد والدي :

" سنرى مالذي سنفعله حينها .. فلنذهب الآن هيا "

قلت :

" فلنتوكل على الله .. "

نظرت إلى ياسر قائلا :

" تمنى لي التوفيق يا أخي... "

رد مبتسما :

" إن شاء الله ، لا تنسى بأن تطلعني على الأخبار .. "

قلت :

" إن شاء الله ... سنذهب وداعا "

توجهت رفقة والدي نحو المقهى أملا في أن أجد السيد عمر هناك ..

" أتظن بأننا سنجده هناك ؟ "

قال :

" على الأغلب سنجده .. فقد اعتدت على رؤيته هناك في هذا التوقيت ... "

كان التوتر واضحا على ملامح وجهي ، فقد شيد قلعته عندي و لا أظن بأنه سيرغب في هجرانها خلال هذه اللحظة الحاسمة ...

" إياد ، من يخاف من الوقوع لن يجرب الصعود مطلقا ... فلنحاول لآخر مرة .. "

قلت بتوتر :

" و إن لم يرض هذه المرة أيضا ؟ .. "

رد قائلا :

" لن أعود إليه مجددا و لو بقيت ابنته فقط على وجه الأرض "

كلام والدي هذا قد زاد من توتري أكثر ، الخوف قد سيطر على كل جسدي ، أشعر بأن قلبي يرتج من الداخل خوفا من فقدان محبوبته للأبد !

بعد لحظات وصلنا إلى المقهى .. رمقت والدي بنظرة مليئة بالتوتر .. ربت هو الآخر على كتفي ، كأنه شعر بأن قلبي سيخرج من مكانه ... أراد أن يزيل شوائب الخوف عني فقال:

" فلنتوكل على الله .. لا داعي لكل هذا القلق سيقبل بإذن الله و نقيم أجمل عرس لابني العزيز ... "

قلت :

" إن شاء الله .. "

أخذت أنظر في أرجاء المقهى ، أبحث عن السيد عمر في المكان ... حتى وجدته جالسا يرتشف القهوة على مهل ، فقلت لوالدي مشيرا بسبابتي نحو والد مريم :

" انظر إنه هناك ... "

رد والدي :

" هيا فلنذهب ... "

توجه والدي نحو السيد عمر بخطوات واثقة أما أنا فقد كنت مترددا للغاية ... أخطو خطوة للأمام و خطوتين للخلف ، التفت والدي ليجدني خلفه ، حاولت تجميع شتات نفسي لأواصل المسير نحوه ..

بدأت نبضات قلبي بالتسارع أكثر فأكثر .. مع كل خطوة أخطوها أشعر بأن قلبي سيتوقف من شدة خوفي ... ربما تكون هذه أول مرة يخترق فيها الخوف فؤادي و جميع حواسي ... فهذه اللحظة بالذات ستكون بمثابة نقطة تغيير في حياتي ، إما للأحسن أو الأسوء !!

" السلام عليكم .. أرجو أن تمنحنا القليل من وقتك "

رفع رأسه لينظر إلي نظرة خاطفة ليعاود النظر إلى والدي قائلا :

" وعليكم السلام ... مالأمر ؟ "

رد والدي :

" أنجلس قليلا ؟ "

أجاب :

" طبعا .. تفضلا بالجلوس .. "

جلسنا ، ليواصل والدي حديثه قائلا :

" دعنا لا نطل الحديث و دون أي مقدمات .. أنت تعلم جيدا مالموضوع الذي سنتحدث معك عنه جيدا .. "

رد بغرور :

" و ما أدراني بالموضوع الذي تتحدث عنه ؟ "

استجمعت شجاعتي لأجيبه :

" الموضوع متعلق بي و ابنتك "

انتفض من مكانه غاضبا :

" ألم نتحدث عن هذا الموضوع منذ وقت طويل و أخبرتك أنني لن أقبل بهذا الزواج مطلقا ؟ "

وقف والدي هو الآخر مضيفا :

" مالأمر الذي يجعلك متمسكا بقرارك هذا ؟ "

قال :

" لن أقبل بأن تتزوج ابنتي من ابنك بائع الخضر مطلقا .. أتفهم هذا ؟؟ "

قلت بعدما شعرت بالغضب يتسلل إلى أعماقي :

" مابه بائع الخضر ؟ مالعيب الذي تراه ؟ أليس المهم أن أكسب لقمة عيشي بتعبي ؟ "

رد ساخرا :

" تعبك ؟ افهم هذا يا ولد ، لن تكون ابنتي من نصيبك مطلقا ... فلتستسلم ، لا أرغب في رؤية وجهك مجددا .. "

قال والدي بعدما نفذ صبره :

" فلتترك ابنتك لديك .. حتى أنا لن أقبل بهذا الزواج بعد الآن ..."

مالذي يحدث هنا ؟ هل أنا أحلم ؟ هل انتهى كل شيء بهذه البساطة ؟ هل انتهت القصة قبل بدايتها ؟

كانت تلك اللحظة قاسية للغاية ، لن يفهم كلامي هذا إلا من كان محبا عاشقا لمحبوبه ... لن يستطيع أن يستوعب مدى صعوبة الموقف الذي أنا فيه إلا من نفذت كل طاقته في سبيل الوصول لسالب الفؤاد منه ...

أمسكني والدي بغضب قائلا :

" لن تتزوج من ابنة هذا المغرور مطلقا أتفهم ؟ "

عجز لساني عن تكوين جمل مفيدة فاكتفيت بالصمت عسى أن أستجمع فتات شجاعتي ...

" و كأنني أجري خلفكما للزواج منها .. فلتنصرفا هيا ..."

نظرت إلى والد مريم بحزن قائلا بعد أن أغلقت الأبواب في وجهي :

" أسأل الله أن يهديك ... "

ليضيف والدي :

" فلنذهب بني هيا ... "

انصرفنا من المقهى تاركا قلبي معلقا هناك .. أشعر بأنه قد انشطر ليسبب ألما رهيبا لي .. كل الأحلام التي بنيت سقفها طوال هذه الأيام قد سقطت فوق رأسي ، لتتلاشى وتصبح سرابا ...

" إياد ، لا أريد أن أسمع باسم تلك الفتاة مجددا .. فلتبحث عن فتاة أخرى ، ستجد أفضل منها .."

حينما لم أجب أضاف :

" بني لا تحزن ... الزواج قسمة ونصيب ، ومريم ليست من نصيبك لهذا أرجو أن تنساها ... "

قلت بصوت خافت لا يكاد يسمع :

" كيف يمكن هذا يا والدي .. لن أستطيع .. لن أستطيع ... "

رد والدي بثقة :

" بلا تستطيع .. هل خلقت هي فقط فوق هذه الأرض ؟ "

أجبت بانكسار :

" كلا و إنما ... "

رد والدي :

" و إنما ماذا ؟؟ "

أجبت :

" لماذا تعلقت بشخص لن يكون لي يا والدي .. لماذا ؟ "

ربت والدي على كتفي :

" لا بأس .. ستتعود مع مرور الوقت ... "

قلت :

" إن شاء الله ... "

قبل أن أصل إلى البيت رن هاتفي ... أخرجته من جيبي لأرى من المتصل ... كان ياسر المتصل ، أجبت قائلا :

" مالأمر ياسر ؟ "

رد :

" أخبرني مالذي حدث معك ؟ "

قلت :

" لقد انتهى كل شيء يا صديقي ..."

صمت قليلا ثم قال :

" مالذي تعنيه ؟ "

قلت :

" لم يقبل والدها ... انتهى كل شيء ".

قال :

" لا بأس .. عسى أن يكون في رفضه خيرا لك .. " .

أجبت :

" نتكلم لاحقا يا ياسر .. وداعا "

أغلقت الهاتف لأشرد في فضاء الخيبة الواسع .. منذ زمن مضى وأنا أحلم بها ، لا أستطيع أن أتخيل حياتي المستقبلية دونها ، غير أن إصرار والدها على الرفض حال دون تحقيق أحلامي الجميلة ...

كانت والدتي و ميسون تنتظران عودتنا بفارغ الصبر ... ما إن دخلت حتى أقبلتا نحوي بفضول منتظرتين الأخبار الطيبة ...

" أخي ، أرح قلبي أرجوك .. هل قبل ؟ "

ردت والدتي :

" وجهه شاحب للغاية ... إياد مالأمر ؟ "

أجاب والدي نيابة عني :

" دعاه و شأنه .. سأخبركما بنفسي فيما بعد .."

توجهت صوب غرفتي مباشرة دون أن أنطق بحرف واحد .. انكسر قلبي دون أن يسمع صوت انكساره أي مخلوق ... يقولون بأن الرجل لا يعرف الحب الحقيقي ، إن كان كذلك فمالذي أشعر به الآن ؟ أتدري أن حياتي قد توقفت عند هذه النقطة بالذات ؟ من لم يذق طعم الخذلان لن يفهم ما أقوله ولو شرحت ما يختلج قلبي من مشاعر حزينة لمدة عام ...

أغلقت باب غرفتي ، أطفأت الأنوار .. فسيطر الظلام على المكان محاولا التسلل إلى قلبي الجريح ..

مرت الساعات و أنا وحيد وسط الظلام الدامس ، أحاول تجميع شتات نفسي التي انشطرت فور رفض السيد عمر لي ... أحاول أن أتفاءل قدر المستطاع عسى أن تعود أحلامي الجميلة التي هجرتني مجددا ...

في الصباح الباكر استيقظت للذهاب إلى المشفى حيث أعمل .. لم تكن لي رغبة في تناول أي شيء لهذا خرجت من المنزل بسرعة دون أن ينتبه أحد لي ...

في طريقي نحو بيت أريج اتصلت بها ، رن هاتفها مرة و اثنتين لتجيب في المرة الثالثة ..

" صباح الخير أريج ... "

ردت :

" صباح الورد .. لم أسمعه كنت في دورة المياه .. " .

قلت :

" لا بأس ، أنا في طريقي نحوك .. أرجو أن تكوني جاهزة .. "

أجابت :

" طبعا جاهزة .. أنا بانتظارك .. "

وصلت إلى منزل أريج بعد مضي ربع ساعة تقريبا .. لأجدها تنتظرني في الخارج ، ركنت السيارة بالقرب منها ، فصعدت بسرعة نظرا إلى اقتراب بداية دوامنا في العمل ..

" أهلا بك .. كيف حالك ؟ "

ردت مبتسمة :

" بخير الحمد لله وأنت ؟ "

قلت :

" الحمد لله .. حزام الأمان أولا يا أريج ... "

أخذنا نتبادل أطراف الحديث طوال الطريق غاية وصولنا إلى المشفى ، فنبدأ دوامنا .. نعمل بكل تفان وحب .

" هل من أخبار عن إياد؟ "

قلت بمرارة :

" للأسف لا أخبار .. لا أظن بأنه سيجرؤ على طلبي من والدي مجددا .. "

ردت أريج بأسى :

" والله لا أدري مالعيب الذي التمسه فيه ونحن لا نراه .. "

" أدعو الله في كل صلاة أن يقبل يا أريج .. لا يدري بأنه يؤلمني بهذا القرار كثيرا .. "

ردت :

" ربما سيقبل لا ندري مالذي يفكر به .. "

قلت :

" أنا أعرف والدي جيدا .. إن عزم على أمر ما لن يغير رأيه ولو اجتمع الناس أجمع لإقناعه .. "

صمتت قليلا كأنها تطبخ شيئا ما في رأسها ثم قالت بثقة :

" ما رأيك لو تتحدثين مع إياد في الهاتف ؟ "

قلت بسرعة :

" كلا ، لا يمكن .. لو علم والدي بذلك فإنه سيقلب الدنيا على رأسي .."

" بالرغم من أن هذه الفكرة قد زارتني ذات ليلة لكنني طردتها خوفا من والدي .. "

ردت بنفاذ صبر:

" والدي .. والدي .. فلتفعلي الأمر الذي يريحك يا فتاة .. إن كان غير مهتم بسعادتك فأنا أهتم .. "

قلت :

" وهل يمكنني فعل شيء يغضبه ؟ كلا .. كلا .. "

ردت :

" هيا ، فلنعد للعمل إذن .. "

مع مرور الوقت حل منتصف النهار ، خرجت أنا وأريج من المشفى لشراء وجبة الغذاء ...

" ماذا سنشتري ؟ "

قلت :

" أي شيء ترغبين فيه .. "

" وأنت مالذي ترغبين في تناوله ؟ "

أجبت :

" أي شيء .. لا يهم .. "

بعدما فرغنا من تناول الوجبة عدنا أدراجنا نحو المشفى ، لم تكن لي شهية للأكل .. لهذا فقد اكتفيت بكمية قليلة من الطعام ..

" إن استمر الأمر على هذه الحال فإنك ستمرضين بالتأكيد .. "

قلت:

" لن أمرض لا تقلقي .. "

أجابت بعدما نظرت إلي من رأسي إلى قدمي:

" إن النحافة تشق طريقا نحوك .. لا ترهقي نفسك بالتفكير وإلا فإنك ستنقرضين مع مرور الوقت "

ضحكت قائلة:

" سأتبع أجدادي الديناصورات قريبا .. "

ضحكت أريج مضيفة :

" أنا لا أمزح .. أنت تهملين نفسك كثيرا .. كوني الصديقة المقربة وجب علي الوقوف بجانبك كي تعودي لسابق عهدك .. "

أمسكت بيدها مجيبة إياها :

" أدرك ذلك يا أريج .. كيف حال والدتك ؟ هل تماثلت للشفاء ؟ "

قالت :

" الحمد لله ، إنها بخير .. ترغب في رؤيتك بشدة "

قلت :

" سأوصلك مساءا للبيت و أراها .. "

ردت بمرح :

" أصبحت لدي سائقة سيارة بارعة.. " .

قلت :

" يالهذا المديح .. "

فور عودتنا إلى مكان عملنا .. جاءت زميلتنا في العمل مرام كي ندردش معا ..

" أريج هل فكرتِ في الموضوع ؟ "

قالت بخجل :

" ليس بعد ، أمهليني القليل من الوقت .. "

كانت مرام قد عرضت على أريج الزواج من شقيقها الوحيد فادي ولكن صديقتي المجنونة لا تزال حائرة بين الرفض و القبول بالرغم من أنه شاب رائع و ابن عائلة محترمة ..

ردت مرام :

" سأسألك سؤالا ولكن أتمنى أن تجيبيني بكل صراحة .. "

قالت :

" طبعا ، اسألي .. "

" هل تحبين شخصا ما ؟ "

أجبت نيابة عن أريج قائلة :

" وهل تظنين بأن أريج تعرف الحب أصلا .. "

ضحكت أريج مضيفة :

" ليس لدي أي شخص أحبه .. أرغب في أن أحب زوجي فحسب .. "

" هذا الكلام الذي كنت أرغب في سماعه .. إذا كان الأمر هكذا لِم تماطلين ؟ "

قالت بنبرة جادة :

" هذا زواج يامرام .. يجب أن أكون مقتنعة تماما بقراري .. "

قلت مؤيدة إياها :

" معك حق .. فكري جيدا .. "

" حسنا ، خذي وقتك .. فادي جاد معك يا أريج أرجو أن تضعي عقلك في رأسك ولو مرة .. "

ردت أريج ضاحكة :

" سأضعه لا تقلقي .. "

غادرتنا مرام فوجدنا الفرصة للتشاور فيما بيننا ..

" ما رأيك يا أريج ، هل تظنين بأن فادي الشخص المناسب لك ؟ "

.

" لا أدري يا مريم .. ربما نعم وربما لا .. "

قلت :

" كيف هذا ! يجب أن تكوني متأكدة من قرارك .. ستعيشين معه طوال العمر وليس مجرد يوم فقط .. "

ردت مبتسمة :

" أعلم ذلك ولكن دعيني أفكر على مهل .. "

قلت :

" فكري .. فكري .. "

أضافت :

" أرجو أن أفرح بكما أنت و إياد قريبا .. "

قلت بخيبة :

" لا أظن بأن ذلك اليوم سيأتي .. ولكن سأتفاءل لعل وعسى أن تشرق الشمس يوما .. "

" إن شاء الله يا مريم .. أنا أدعو الله في كل صلاة أن يجعله من نصيبك .. "

قلت :

" سلمت يا أريج .. "

مع حلول المساء ، خرجنا من المشفى .. صعدت إلى السيارة رفقة أريج كي أوصلها إلى البيت و أرى والدتها كما اتفقنا صباحا ..

" ستفرح والدتي كثيرا لرؤيتك ... "

قلت :

" و أنا كذلك ، لقد اشتقت لها ... "

" على فكرة .. ما رأيك لو نتسوق غدا ؟ "

قلت :

" ربما .. سأخبرك في الليل .. "

ردت بضجر :

" ربما ! غدا لن نعمل يا مريم .. لا تكوني مملة هكذا .."

" لست مملة ولكن لا رغبة لي في التسوق .. "

ردت :

" بلا مملة .. "

انطلقت باتجاه بيت أريج ، فور وصولنا نزلنا من السيارة متوجهتين للباب ..

قرعت أريج الباب قرعا خفيفا لتفتحه والدتها بعد لحظات ..

" مرحبا بكما .. مريم لقد اشتقت لك يا ابنتي .."

عانقتها قائلة :

" أنا الأكثر اشتياقا .. كيف حالك ؟ "

" فلتدخلي البيت ونتحدث بأريحية .. "

اعتذرت عن الدخول مجيبة :

" والله لا أستطيع ، سأعود مجددا أعدك .. "

ردت أريج :

" لقد قلت لك بأنك تصبحين مملة بالتدريج .. "

ضحكت قائلة :

" كلا .. سأزوركما في أقرب وقت .. لدي عمل أقوم به .. "

" لا بأس يا ابنتي ، افعلي ما يحلو لك .. ولكن فلتعلمي بأنني أنتظر زيارتك .. "

قلت :

"طبعا .. سآتي ".

ودعت أريج ووالدتها وعدت إلى سيارتي ..

في طريق العودة إلى المنزل رن هاتفي مرة فلم أجب بل إنني لم أرى من المتصل حتى .. رن مرة أخرى ، ألقيت نظرة لأجد أختي رزان المتصل ..

" رزان مالأمر ؟ "

قالت :

" أين أنت ؟ "

أجبت :

" في طريق العودة .. هل حدث أمر ما ؟ "

" حسنا ، سأخبرك فور عودتك .. "

قلت :

" تتصلين وتجعلينني أقلق ومن ثم تقولين أخبرك فور عودتك .. لو تركتني حتى أعود و تفرغين ما في قلبك دفعة واحدة .. أحسن أليس كذلك ؟ "

تأفأفت قائلة :

" ليس أمر يحكى في الهاتف .. أين أنت ؟ "

قلت :

" أوشكت على الوصول .. "

ردت :

" حسنا ، نتكلم لاحقا .."

أغلقت رزان الخط دون أن تحكي لي الشيء الذي تريد قوله .. بدأت علامات الاستفهام والتعجب تشق طريقا نحوي ..

شعرت بأن المسافة التي بقيت لوصولي طويلة جدا بالرغم من أنها قصيرة لدرجة أنني أستطيع تجاوزها في خمس دقائق ...

وصلت إلى البيت أخيرا بعد عراك حاد بين عقلي وقلبي .. فقلبي يشعر بأن الأمر متعلق بإياد وعقلي يحاول تغيير شعوري بشتى الطرق .

صعدت إلى غرفة رزان مباشرة لأفهم مالذي يدور من أحداث جديدة ..

" رزان ، فلتخبريني مالذي حدث ؟ "

" لقد أخفتني يا فتاة .. ظننت بأن لصا قد اقتحم غرفتي .. "

قلت :

" أخبريني مالذي حدث ؟ "

ردت :

" اجلسي .. سأخبرك بكل شيء .. لا أظن بأن والدي سيخبرك لأنني سمعته دون أن يراني أحد ..."

" ماذا ؟ عقلي لا يستوعب .. مالذي سمعته ؟ "

اقتربت مني لتجيبني :

" سمعته يتحدث مع والدتي عن إياد .."

قاطعتها بفضول قائلة :

" إياد ! مالذي حدث معه أخبريني .. "

قالت :

" سمعته يقول بأن إياد ووالده قد ذهبا إليه مجددا .. "

تلقائيا ودون أي رغبة مني ، ظهرت ابتسامة عريضة على مهجتي لكنها لم تدم طويلا .. فور إكمال رزان الحديث المتبقي اختفت مجددا ..

" لا أعلم كيف أخبرك ولكن .. "

قلت :

" لكن ماذا ؟ "

" لقد طلبك من والدنا ولكنه رفض كما كان متوقع .. "

زالت البسمة ، اختفى بصيص الأمل .. حل الظلام فجأة ! من أطفأ الأنوار هنا ؟ أنا أنطفىء ...

" مريم أظن بأنه قد حان الوقت كي تنسيه .. أعلم بأن الأمر صعب للغاية ولكن مالذي يمكننا فعله يا أختي ... أدرك أنكما تحبان بعضكما البعض بشدة ولكن والدنا لن يقبل مطلقا ... "

قلت بانكسار :

" لقد سرق مني حياتي .. لقد سرقها ! "

ردت بخوف :

" مريم ، لا تقولي هذا .. والدنا يدرك تماما أين مصلحتك .. "

أنا و إياد نحب بعضنا منذ فترة طويلة .. لم نرض بأن نكون معا سوى حلالا .. صارحني بمشاعره الصادقة بواسطة أخته ميسون لأخبرها برغبتي في إكمال حياتي معه ..

أجمل شيء في إياد هو رغبته الجامحة في الزواج مني .. لم يحاول التقرب مني ولو لمرة واحدة !

يعتبر اقترابنا من بعضنا البعض دون علاقة رسمية شرعية جريمة كبيرة .. لا يحب سوى الحلال و هذا الأمر قد زاد من تعلقي به ، أحبني بصدق فطرق باب بيتي مرة واثنتان و ثلاثة .. ولو أمكن سيطرقه للمرة الرابعة .

" لن أستطيع نسيانه يا رزان .. أرجوكم فلترحموا قلبي قليلا .. "

أشفقت رزان على قلبي الجريح ، عانقتني بقوة قائلة:

" والله لو الأمر بيدي لأقمت لكما أجمل حفل زفاف في الجزائر ولكنه والدي .. لا يمكننا الوقوف في وجهه .. تعلمين جيدا بأنه صارم للغاية ولن يسامح من يقف في وجه قراراته .. "

أخذت أمسح الدموع المتساقطة كأمطار فصل الشتاء عن وجهي .. نهضت من مكاني بسرعة ، أردت أن أكون بمفردي في تلك اللحظة لهذا فقد خرجت من غرفة رزان دون أن أقول أي شيء .. توجهت صوب غرفتي حيث أحبس نفسي كلما ضاقت بي كل السبل للعيش بهناء رفقة إياد .

لحقت بي رزان خوفا من أن أتهور و أقوم بأمر جنوني ..

" مريم ، عزيزتي لماذا تبكين ؟ "

اكتفيت بالبكاء المرير الذي أتعب قلبي ، حاولت رزان التخفيف عني بمختلف الطرق غير أنها لم تستطع زرع الأمل الذي سافر بعيدا ..

" مريم ، لا تخبري والدي بما قلت لك .. "

قلت بنفاذ صبر :

" عفوا !! أتنتظرين مني أن أصمت بعد كل الذي مررت به ؟ "

أجابت :

" صدقيني سيقلب البيت فوق رأسك .. "

قلت :

" لماذا كل هذا الظلم ؟ ألا يحق لي اختيار شريك حياتي !! "

ردت :

" يا مريم إن تفوهتِ بأي شيء فإنه سيقوم بالتحقيق حول من أخبرك وكيف سمعت .. "

" و إن يكن فليحقق كما يشاء ، لقد خسرت إياد .. لقد انتهى كل شيء "

أمسكت بيدي قائلة:

" سيشك بأنك تكلمين إياد .. أرجوك لا تخبري والدنا وإلا فإن مشكلة كبيرة ستحصل ونحن في غنى عنها .. "

أصبحت تائهة لا أعلم مالذي يمكنني فعله حتى يغير والدي رأيه .. أتمنى لو بإمكاني الوقوف في وجهه والتحدث معه بكل جرأة .. أعبر عن مشاعري دون خوف ، كل ما أرغب فيه هو العيش رفقة إياد إلى الأبد .. هل طلبي مستحيل ؟

فلتشرقي أيتها الشمس على قصة حبي الممنوعة و اجعلي القيود التي تحيط بها تنصهر ..

لقد كان من الصعب التعود على العيش دون التفكير بمن أحببت .. لو سألتني لأخبرتك بأن الحب يسبب الاختناق الشديد سيجعلك تشعر بأن الهواء قد نفذ ..

فور فقدان القلب لمحبوبته للأبد ستصبح عاجزا ، تلك العواطف والمشاعر الصادقة التي تكنها لمحبوبتك ستصبح عبئا ثقيلا عليك .. كيف للحب أن يكون داءا ؟

ستصبح تتألم بشدة إن كان للقدر حديث آخر .. حينما تغلق كل الأبواب في وجهك و يقف كل شيء كالجدار بينك وبين من أحببت

فلتدرك بأن حبك الصادق هذا سيؤلمك و بشدة .. ستتألم نعم ، و لكن ستتعود على العيش عاجلا أم آجلا .. ربما أنا أعتقد هذا فقط ! ربما لن أستطيع العيش دون مريم !!

لقد أصبحت فاقدا للأمل الذي عشت معه لفترة طويلة .. لاحظ الجميع التغير الذي طرأ علي .. يحاول والدي إقناعي بأنها لو كانت من نصيبي لقبل والدها و لكن النصيب جعل منه سببا كي أبتعد عنها للأبد !

أما والدتي فهي تحاول أن تبث في نفسي الأمل من جديد ..

كنت نائما في غرفتي .. لحين ما سمعت طرقا على الباب ..

" تفضل بالدخول .. "

كانت والدتي قلقة بشأني ، تجيء وتذهب بين الفينة و الأخرى للاطمئنان علي ..

" إياد .. لا تفعل هذا بنفسك .. فلتأكل شيئا بني .. "

قلت :

" ليست لدي أي رغبة في الأكل .. أريد أن أنام فحسب ! "

خرجت والدتي من غرفتي مكسورة الخاطر أما أنا فقد كنت أحاول في تلك اللحظات استوعاب ما حدث في الساعات الماضية ..

هل رفضني والد مريم حقا أم أنه مجرد كابوس بشع سيختفي فور استيقاظي ؟ ..

قرع خفيف على الباب مجددا .. ولكن الطارق هذه المرة كان أخي جاد ..

" إياد هيا فلننزل لتناول وجبة العشاء .. "

قلت :

" كلا ، فلتنزل لن أجيء .. "

" بلا ، ستأتي .. والدتي قلقة عليك لا تهمل صحتك من أجل فتاة .. " .

قلت :

" ليس الأمر كذلك .. ليست لدي رغبة في الأكل فحسب .. حينما أشعر بالجوع أنزل .. ".

حاول جاد بكل الطرق أن ينزلني برفقته ولكنه فشل فخرج هو الآخر بخيبة ...

ظننت بأنني قد انتهيت من إصرارهم ولكن فور خروج جاد .. دخل والدي الغرفة مباشرة ..

" هيا فلتنهض .. لا أريد أي اعتراض .. هيا .. "

قلت معتذرا :

" آسف يا أبي ولكن .. " .

قاطعني والدي قائلا :

" ولكن ولكن .. فلتنهض بسرعة .. "

لم أستطع أن أخجل والدي هذه المرة فنهضت من فراشي وخرجت معه متجهين صوب غرفة المعيشة ..

" لقد شرفنا إياد أخيرا .. "

قلت :

" والدي أصر على قدومي وأنا لا أستطيع أن أرد له طلبا .. "

ردت والدتي :

" وأنا تردني بكل بساطة .. لا بأس سيد إياد لا بأس .. "

اقتربت من والدتي ، قبلت جبينها قائلا :

" وهل يمكن أن أردك يا أمي ..والله لم أكن أرغب في النزول فحسب .. "

أنقذتني ميسون مما أنا فيه حين قالت :

" هيا فلنأكل .. لا داعي لكل هذا ... " .

أيدها جاد مضيفا :

" والله ميسون محقة .. المهم أن إياد هنا الآن فلنأكل يا جماعة .. "

اجتمعنا حول المائدة .. شرع الجميع في الأكل سواي ..

" إياد فلتأكل .. "

نظرت إلى أمي قائلا :

" نعم .. "

مع كل ملعقة أرفعها ناحية فمي تأتي صورة مريم أمام عيني .. تبتسم لي تارة و تبكي بحرقة تارة أخرى .. هل تشعرين بالألم الذي أشعر به يا عزيزتي ؟

هيا فلتقفي في وجه والدك ولتصرخي بأعلى صوت قائلة بأنك تريدينني أنا فحسب .. لا تخافي من أي شيء سأكون بالقرب منك ..

قادني الشرود نحو عالم آخر ليس له وجود في الواقع ، الأحلام التي طورتها مع الوقت ستصيبني بالجنون لا ريب ..

" إياد لا تكن بخيلا على بطنك يا بني .. هيا فلتأكل .. "

أجبت والدي :

" والله لقد شبعت .. سأعود إلى غرفتي الآن .. "

حاولت والدتي منعي ولكن تفهم أبي للحالة التي أمر بها جعلني أصعد إلى غرفتي بسلام ..

عدت إلى الظلام مجددا .. عدت إلى وحدتي ، إلى الخيبة التي نمت وكبرت لتحيط بي و ترميني وسط دوامة من الخذلان و الأسى ..

لم يكن الشعور الذي سيطر على وجداني مؤقتا بل كان دائما لم تستطع الأيام أن تزيله مطلقا ..

رحل اليوم الذي رفضت فيه ولم تبق سوى الذكرى الشنيعة التي آلمتني .. ظننت بأن الخيبة التي أجرها معي أينما ذهبت سترحل هي الأخرى ولكنها لم تفعل ذلك مطلقا بل شيدت قلعتها في قلبي ..

مر شهران على رفضي وها أنا في كل مرة أرى مريم تعود لي الأحلام الجميلة التي بنيتها بحب ... غير أنها و لسوء الحظ تختفي فور تذكري لِما حدث في ذلك اليوم .

كنت في السوق رفقة ياسر نعمل كالعادة ..

" إياد متى ستتعافى من جروح الماضي ؟ "

" لن أتعافى مطلقا يا ياسر .. أتدري ما معنى أن يجرح فؤادك يا رجل ؟ "

قال :

" ولكنك رجل لا تحزن لهذه الدرجة .. ستنسى مع مرور الوقت و ستقع في حب فتاة أخرى .. الأمر ليس بهذا السوء .. ابتهج .. "

" كم من السهل قول هذا .. لو كنت مكاني ستفهم جيدا مالذي أمر به .. " .

رد ياسر :

" كلا ، أنا أفهمك جيدا ولكن أريدك أن تفهم بأن الحياة لن تتوقف عندها .. عش حياتك و اتركها تأتي كما كتبها الله لك .. " .

قلت :

" سأحاول .. " .

انتهينا من العمل مبكرا هذا اليوم لهذا فقد اقترح ياسر الذهاب للتنزه بالسيارة قليلا ..

" هيا ياسر اصعد بسرعة .. "

ضحك ياسر قائلا :

" انتظر قليلا .. سأصعد لحظة فحسب .. " .

انطلقت محاولا تغيير الجو الذي سبب لي الاختناق ، قررت الابتعاد عن المكان قدر الإمكان ولو لساعات قليلة عسى أن تمسح ذاكرتي .. عسى أن أنسى ألمي ولو لفترة وجيزة ..

" أين تريد الذهاب يا ياسر ؟ "

" أينما تشاء .. مارأيك لو نذهب إلى الغابة نستنشق بعض الهواء العليل .. "

قلت :

" فكرة رائعة يا رجل .. سنتوقف بالقرب من أي محل هنا نشتري وجبة الغذاء .. أم تريد الصوم اليوم ؟ "

ضحك ياسر مجيبا :

" كلا .. معك حق .. هنالك محل قريب من هنا .. "

بعد مضي ربع ساعة تقريبا وصلنا إلى المحل .. ركنت السيارة بالقرب منه .. فنزل ياسر من أجل الشراء ..

قلت :

" المشروب الغازي لا تنسى .. "

" أجل .. وهل يمكنني نسيانه .." .

بعدما اشترى ياسر أكملنا الطريق صوب الغابة التي يقصدها العديد من الأشخاص قصد التنزه .. أما أنا فهدفي هو النسيان أو بالأحرى الابتعاد عن كل ما يذكرني بمريم لوقت معين .

وصلنا إلى المكان المرجو أخيرا .. نزلنا من السيارة متجهين إلى وسط الغابة ..

كان هنالك العديد من الناس .. يتناولون وجبة الغذاء ، جلست فوق العشب الأخضر أنظر إلى السماء الزرقاء ، أتأمل جمال الطبيعة و إبداع الخالق في تصويرها ...

" يالجمالها ! "

نظر إلي ياسر قائلا :

" من ؟ "

قلت :

" الطبيعة يا رجل .. "

ضحك ياسر بصوت قوي مضيفا :

" ظننت أنك تتحدث عن فتاتك .. " .

أجبت بانزعاج :

" وهل يجب عليك أن تذكرني بها في كل لحظة ؟ أرجو أن لا أسمع اسمها مجددا .. " .

تفهم ياسر شعوري فقال مؤيدا :

" معك حق أنا آسف .. "

" هيا فلنأكل .. " .

جمال الطبيعة أعاد لي الرغبة في الأكل من جديد .. شرعت في الأكل بتلذذ ..

" ياسر ، تناول الطعام هنا أمر آخر .. مارأيك لو نأتي إلى هنا كل يوم ؟ "

" كما تريد يا رجل .. المهم أن تكون مرتاحا .. " .

تجولنا في المكان بسعادة بالغة .. استطعت أن أنسى الألم الذي أحاط بي .. كان لجمال المنظر تأثيرا إيجابيا على كلينا ..

" المكان جميل حقا .. فلنلتقط بعض الصور .. " .

وافقت على طلب ياسر مباشرة فالمكان يفتح النفس و يرغمك على التقاط أكبر قدر من الصور ..

" سأنشرها الآن .. هذه رائعة .. " .

نظرت إلى الصورة قائلا :

" كلا .. أظهر هنا بشعا للغاية .. غيرها .. " .

فور رؤيتي لإحدى الصور قلت :

" هذه رائعة .. ".

أمضيت وقتا رائعا رفقة صديقي الودود .. لم نشعر بمرور الوقت مطلقا فحل المساء وعدنا أدراجنا .

في طريق العودة تصادفنا مع حادث مرور ..

" حادث مرور .. أرجو أن لا تكون هنالك وفيات .. " .

أخذت أنظر إلى المشهد بألم وحسرة ..

كان المكان شبه مغطى .. سيارة الإسعاف على اليمين و الشرطة على اليسار .. كانت الفوضى تعم الأرجاء ..

نزلت من السيارة لأرى عن قرب .. نظرت إلى السيارة السوداء و ياليتني لم أنظر ..

" ياسر .. أليست هذه سيارة مريم ؟ " .

اقتربت أكثر فأكثر ، كاد الخوف أن يشل أطرافي ..

" إياد انتظر .. " .

ركضت بأقصى سرعة لي .. أصبحت كالمجنون لا أرى أي شيء أمامي .. صرخت بأعلى صوت لي قائلا :

" مريم .. مريم .. " .

توجهت صوب سيارة الإسعاف حيث وجدت مريم ممددة هناك .. الدماء تنزل من رأسها ..

المنظر الذي رأيته كان كفيلا بجعلي أسقط أرضا .. لولا ياسر الذي أمسك بي لسقطت لا ريب ...

" إنها مريم .. أرجوك أخبرني بأنها ستكون بخير ... " .

صعدت إلى سيارة الإسعاف التي كانت ستنطلق نحو المشفى .. لم أفكر في أي شيء حينها كان همي الوحيد البقاء مع مريم ...

أصوات كثيرة حولي لم أكترث لها .. سمعت ياسر يقول لي قبل انطلاق سيارة الإسعاف بثوان ...

" إياد لا تتهور ... إياك أن يجدك والدها في المشفى ..إياك ... " .

لم أكترث لكلام ياسر مطلقا بل أمسكت يد مريم برقة أحاول أن أجعلها تستيقظ ...

" مريم أنا هنا ... استيقظي أرجوك ... لا تتركيني بمفردي ... " .

" أسرع أرجوك .. سأفقد عزيزتي ... أسرع ... " .

صوت سيارة الإسعاف عم في الأرجاء .. تفاقم الخوف داخل قلبي ، بدأ ينبض بسرعة فائقة ...

أخذت أنادي مريم بجنون .. لم أستطع السيطرة على أعصابي مطلقا ...

" مريم ... مريم ... مريم ... " .

كانت تلك الدقائق المعدودة بمثابة عام .. شعرت بأن المستشفى يقع في كوكب آخر ...

فور وصولنا قفزت من السيارة بسرعة .. حملت مريم بين يدي دون أن أحسب حساب أحد ...

أسرع في خطواتي قائلا بصوت عال :

" ابتعدوا ... ابتعدوا ... " .

دخلت إلى الاستعجالات حيث هنالك العديد من الأطباء ...

" تعرضت لحادث مرور ... أرجوك أنقذها .. " .

نظر إلي الطبيب قائلا :

" هل هي زوجتك .؟ "

قلت بسرعة ودون أن أنتبه لكلامي حتى :

" نعم ... أنقذها أرجوك ..." .

" انتظر في الخارج رجاءا ... "

خرجت من الغرفة تاركا قلبي معلقا هناك ... لقد انشطر قلبي إلى قطع أصغر هذه المرة ...رن هاتفي مرة فلم أجب مطلقا ... رن مرة أخرى ، أخرجته من جيبي لأجيب مباشرة ..

" إياد كيف حالها ؟ " .

قلت بتوتر :

" لست أدري .. الطبيب معها الآن ..." .

أجاب :

" زال البأس إن شاء الله .. " .

أغلقت الخط لأعاود المشي في الرواق ذهابا إيابا ... منتظرا اللحظة التي يخرج فيها الطبيب بالبشرى ...

" يا سيد ... لقد استيقظت يمكنك رؤيتها ... " .

التفت خلفي لأرى صاحب الصوت ... كان الطبيب الذي فحص مريم ...

ركضت نحوه قائلا :

" هل هي بخير ؟ " .

قال :

" بخير الحمد لله ... حالتها ليست خطيرة مجرد إصابة سطحية على مستوى الرأس لا غير ... " .

قلت ببهجة :

" شكرا جزيلا لك أيها الطبيب .. " .

" العفو ... هذا واجبي .. " قال ذلك وغادرني .

كنت أقف قرب الباب مترددا في الدخول إليها ... أقول بيني وبين نفسي ...

" هل أدخل ؟ كلا .. كلا ... " .

بعد عراك بيني وبين نفسي دام لدقائق معدودة قررت أخيرا الدخول إليها قصد الاطمئنان عليها ومن ثم المغادرة تجنبا لأي مشكلة قد تقع مع والدها ...

أمسكت قفل الباب بتردد فتحته ودخلت ..

كانت مريم مستلقية فوق السرير بسلام ، ظلت تحملق في عيني بذهول تام .. لم تنطق بحرف واحد أما أنا فقد أصبحت كالصخرة الصماء .. أنظر إلى عيني عزيزتي ثم أغير زاوية نظري ...

كسرت مريم الصمت الذي سيطر على الغرفة حين قالت بصوت خافت حنون :

" إياد .. " .

أجبت :

" كيف تشعرين ؟ "

ردت بقليل من الخجل :

" أشعر بقليل من الألم في رأسي لا غير ... " .

" الحمد لله .. كيف حدث كل هذا ؟ " .

قالت :

" لست أدري .. فجأة وجدت نفسي هنا .. لا أتذكر ما حصل معي بالضبط .. ".

رن هاتف مريم ونحن نتحدث بكل أريحية ..

" أجل أنا في المشفى يا أبي ... كلا ، لا تقلق أنا بخير الحمد لله ... حسنا أنا بانتظاركم .. " .

أغلقت الخط ثم نظرت إلي قائلة :

" ستأتي عائلتي ... " .

قلت بتوتر :

" يجب علي أن أذهب قبل أن يصلوا ... " .

" إياد لا تتخلى عني أرجوك ... ".

نظرت إلى عينيها بعدما أصبح قلبي ينبض بسرعة ، قلت :

" ماذا ؟ " .

أجابت مؤكدة لكلامها :

" لا تتخلى عني ... أدري بأن والدي يصعب الأمر كثيرا ولكن أرجوك لا تستسلم فأنا ... " .

قبل أن تنهي كلامها رن هاتفي ليجبرها على التوقف ... كان صديقي ياسر المتصل ...

" مرحبا ياسر ... "

" هل مريم بخير ؟ ".

قلت ببهجة :

" نعم .. بخير الحمد لله ... " .

نظرت إليها مضيفا :

" أظن بأنها قطة بسبع أرواح .. " .

قال :

" لا تطل البقاء هناك ... كما تعرف قد يصل والدها في أي لحظة .. " .

قلت :

" حسنا .. نتكلم لاحقا ... " .

عدت لأشبع عيناي من مريم .. أخذت أحملق فيها كالأبله ، أفكر في الكلام الذي قالته لي للتو ...

" مريم ... أخبريني لِم والدك لا يريدني ؟ " .

قالت بحسرة :

" والله لا أدري يا إياد .. لكنني أنا أريدك ... لا تتركني عدني بهذا !! "

قلت :

" ولكن ماذا عساي أفعل ... أخبريني ... " .

قالت :

" لا شيء ... كن لي فحسب ... ".

تفاجأت من جرأتها ، أصبت بالدهشة .. هل أنا أحلم أم ماذا !!!

وكأنها تريد أن تسقيني من بحر الدهشة .. فلم تكتف بما قالته مطلقا بل أضافت :

" عدني بأنك لن تتخلى عني مطلقا .. " .

قلت برغبة من قلبي :

" أعدك ... " .

" علي أن أذهب وإلا فإن مشكلة كبيرة ستحدث .. ".

قالت :

" حسنا .. اعتني بنفسك .. " .

قلت مبتسما :

"بل أنت من يجب أن تعتني بنفسها .. اهتمي بنفسك جيدا ... اتفقنا. "

أومأت برأسها :

" نعم "

خرجت من الغرفة فرحا للغاية فمريم بخير والحمد لله .. وأنا على وشك الخروج من المشفى لمحت من بعيد والد مريم ..
فور رؤيتي له غيرت طريقي مباشرة ، لن أترك له مجالا لاختلاق أي مشكلة من الآن وصاعدا خاصة بعد الوعد الذي قطعته لعزيزتي .

فضلت البقاء بمفردي تلك الليلة حتى الأكل لم أكن أرغب فيه مطلقا ... سقيت وسادتي بأمطار من الدموع المالحة التي لم تنقطع مطلقا ...
تأتي الخادمة بين الفينة و الأخرى مكررة نفس السؤال الذي مللت من سماعه .. " هل ترغبين في تناول أي شيء ؟ " ...
الحزن الذي سيطر على قلبي لم يسبق لي أن شعرت به .. أسوء شعور أن يفارقك من أحببت للأبد ...
في صباح اليوم الموالي ، خرجت من البيت شاردة التفكير ... صعدت إلى السيارة وأخذت أقودها دون أي تركيز ، مرت الساعات وأنا داخلها أتنقل من مكان إلى آخر ، لم أفتح عيني بعدها إلا و أنا داخل المشفى ...
حاولت تذكر مالذي حدث معي بالضبط .. كل ما أتذكره أنني كنت أقود السيارة شاردة.. أفكر في إياد بجنون وعلى غفلة مني اصطدمت بسيارة أخرى لأجد نفسي هنا ...
الشيء الإيجابي في الحادث الذي قمت به هو قدوم إياد لزيارتي .. فور رؤيتي له شعرت بأنني أطير فوق السحاب من فرط السعادة

التي شعرت بها ، أردت أن أمسكه و أضعه داخل قلبي .. تمنيت لو أن قصتنا لم تكن ممنوعة لكنا شبه عصفوري الحب .

فور خروج إياد من الغرفة دخل كل من والدي ووالدتي ، رزان ورشا ...

ركضت رزان نحوي باكية ..

" مالذي حدث معك يا أختي .. هل أنت بخير ؟ " .

قلت :

" بخير الحمد لله لا داعي للقلق ... " .

أمسكت والدتي يدي برفق قائلة :

" لا تتعبي نفسك ابنتي .. ستتحسنين قريبا بحول الله .. " .

" مريم الحمد لله على سلامتك يا أختي " .

أجبت رشا :

" شكرا .. " .

اقترب والدي مني فحضنني مضيفا :

" كيف حدث هذا ؟ لو حدث لك مكروه فإنني سأجن لا ريب .. " .

قلت :

" كلا .. أنا بخير لا تقل هذا .. ".

" مالذي قاله الطبيب ، ستخرجين اليوم أم متى ؟ " .

أجاب والدي :

" سأذهب لرؤية الطبيب لن أتأخر ..." .

ذهب والدي إلى الطبيب أما نحن فقد بقينا نتكلم عن الحادث الذي وقع لي .

بعد لحظات عاد والدي ..

" قال الطبيب بأنك ستبقين هنا الليلة .. " .

قلت :

" لماذا يا أبي أنا بخير .." .

ردت والدتي :

" لا تكوني عنيدة .. ستبقين هنا لنتأكد من سلامتك ... " .

لتضيف رزان :

" معهما حق ، نحن لسنا أحسن من الطبيب ، مادام قال ذلك فإنه يدرك لماذا..." .

ردت رشا مبتسمة :

" تعملين هنا يا ابنتي مالذي يزعجك .. تعرفين الجميع هنا كما أنك تنامين هنا في فترة عملك أحيانا .. أين المشكلة ؟ " .

قلت :

" لست معتادة على النوم في السرير بصفتي المريضة هنا ... أنا الممرضة يا رشا ولست المريضة ."

ضحك والدي قائلا :

" لا بأس فلتقبلي بدور المريض لليلة واحدة فحسب .. " .

بعدما انتهت فترة الزيارة رحلت عائلتي ، البقاء في السرير ممددة يزعجني للغاية .. أحاول أن أشغل نفسي بأي شيء .. لا هاتف معي حتى أتصل بأريج عسى أن تأتي فتخفف عني قليلا .

أمضيت الليلة أفكر في إياد ، أفكر في الحديث الذي دار بيننا .. الشجاعة التي سيطرت على لساني فتجرأ على البوح بما يحتويه قلبي من مشاعر قوية اتجاهه جعلتني مبهورة .. أتقلب يمينا وشمالا كي يتسلل النوم إلي فأفتح عيني لأجد نور الصباح قد دخل إلى غرفتي فأخرج من هنا و أتنفس الصعداء .

استيقظت صباحا على صوت أريج ...

" مريم .. مريم ... " .

نظرت إلى أريج قائلة :

" أريج أنت هنا .. " .

قالت بخوف شديد :

" مالذي حل بك يا مريم ... لقد أخبرتني رزان الآن .. " .

" كما ترين مجرد حادث بسيط .... " .

أجابت :

" الحمد لله على سلامتك .. تفضلي هاتفك لقد أرسلته أختك معي ... " .

ابتسمت قائلة :

" لو أخبرك مالذي جرى معي فإنك لن تصدقي مطلقا ... " .

ردت بفضول :

" ماذا ؟ هيا فلتخبريني ... " .

" لقد أتى إياد لزيارتي بالأمس .. " .

صرخت قائلة :

" إياد؟ تمزحين أليس كذلك ! " .

" كلا ، ولم أمزح لقد أتى بالفعل .. " .

اقتربت أريج مني ، وضعت يدها فوق رأسي مضيفة :

" لا تعانين من الحمى .. كلامك ليس منطقي يا ابنتي كيف يمكنه أن يأتي ، من أخبره بأنك هنا ؟ " .

كلام أريج هذا جعلني أخرج من بحر الغباء الذي غرقت فيه بسبب حبي هذا ..

" معك حق .. لم يخطر هذا السؤال في بالي مطلقا .. كيف عرف بأنني في المشفى ؟ " .

ردت أريج :

" يا لصديقتي الغبية .. لو سألته لاتضحت كل الأمور .. " .

أضافت قائلة:

" لا بأس بهذا تسألينه في وقت آخر .. أخبريني مالذي قاله لك ومالذي دار بينكما من حوار ... " .

الفضول الذي سيطر على أريج سمح لي بأن أروي كل ما حدث معي ... حتى التفاصيل الصغيرة والمشاعر الصادقة التي أكنها له جعلتها تستنشق هواء الحرية مرة أخرى ..

" ستكونان رائعين معا يا مريم ... مادام وعدك فإنه لن يخلف وعده مطلقا .. " .

قلت :

" أتمنى ذلك .. عناد والدي هذا سيقتلني حتما " .

" ألم يقل لك الطبيب متى يمكنك الخروج ؟ " .

أجبت بملل:

" كلا ، لم يأت بعد .. تعرفين أنه يتأخر في المجيء .." .

بعد مرور الوقت حضر الطبيب فأذن لي بالخروج من المشفى ... اتصلت برزان كي تأتي وتأخذني إلى البيت .

" مريم ، الحمد لله على سلامتك يا أختي .. هيا فلنجهزها يا أريج .. " .

قلت بمرح :

" وهل سأزف عروسا حتى تجهزانني ؟ " .

ردت مبتسمة :

" لقد أحضرت لك ملابس نظيفة و مستحضرات التجميل .. لا أرغب بأن يراك غيرنا وأنت شبه المومياء ... " .

ضحكت أريج قائلة دون أن تتذكر بأنني حذرتها من إخبار أي أحد بحضور إياد :

" والله رزان محقة ، أظن بأن إياد سيتوقف عن حبك بعد أن رآك هكذا ... ".

نظرت إلى أريج بتوتر مرسلة إليها رسالة مشفرة تحمل الكثير من العتاب .

" إياد ؟ هل أتى إلى هنا يا مريم ؟ " .

قلت :

" كلا ، ومن أين له أن يعلم بأنني هنا ؟ " .

ردت رزان بتوتر واضح :

" يا مريم ، أتريدين أن تقعي في المشاكل .. ماذا لو علم والدي بهذا؟ " .

" فليعلم مالذي أستطيع فعله .. أنا أحبه بشدة .. سأحارب من أجله ولن يوقفني أي أحد .. " .

تأفأفت رزان مضيفة :

" عنادك هذا سيسبب لنا الكثير من المشاكل.. " .

أجبت بغضب :

" بل سيسبب لي .. لا علاقة لك ولا لأمي ولا رشا بالموضوع .. إنها قصة حبي أنا فحسب ... " .

حاولت أريج تلطيف الجو المعكر بشحنات الغضب الزائدة ...

" هيا لا داعي لكل هذا ، علينا المغادرة الآن .. " .

ساعدتني أريج في تغيير ملابسي أما رزان فقد خرجت منتظرة إيانا داخل السيارة بعد الشجار القصير الذي دار بيننا .

نظرت إلى أريج بغضب قائلة :

" ألا يمكنك التزام الصمت ولو لدقائق .. لم يكن عليك التفوه بهذا ، لقد أوصيتك بأن لا تخبري أحدا ..." .

ردت معتذرة :

" أنا آسفة للغاية ، والله لست أدري كيف انزلقت من لساني .. " .

قلت :

" المهم أن لا ينزلق أمام الآخرين و إلا فإنك ستكونين سببا في اندلاع الحرب بين والدي و إياد .. " .

أجابت :

" كلا ، لن أتفوه بشيء أعدك .. " .

بعد لحظات خرجنا من المشفى نحو سيارة رزان ...

كانت رزان تنظر إلينا من بعيد فور وصولنا نزلت من السيارة ، فتحت الباب وساعدتني في الصعود قائلة :

" رغم عنادك إلا أنني أحبك كثيرا يا أختي .. " .

عانقت رزان قائلة :

" والله أنا كذلك أحبك يا أختي .. آسفة إن أزعجتك .. " .

ردت :

" أنا الأكثر أسفا .. " .

عدنا إلى المنزل أخيرا .. المكوث في السرير ولو ليوم واحد أزعجني للغاية ..

كانت الساعة تشير للعاشرة صباحا ، دخلنا البيت وكلي فرح بسلامتي من الحادث أولا ورؤيتي لإياد ثانيا ..

" أنذهب إلى غرفتك أم إلى غرفة المعيشة؟ " .

أخذت أبحث عن والدتي ورشا ولكنهما لم يكونا هنا فقلت بخيبة :

" إلى غرفتي .. " .

كانت أريج برفقتي فقد قررت المجيء معي إلى البيت ومن ثم العودة إلى المشفى ...

أوقفني صوت والدتي وهي تقول :

" إلى أين يا مريم .. أنا أنتظرك منذ الصباح .. " .

التفت إلى والدتي بفرح قلت :

" ظننت بأنك لست هنا .." .

أجابت :

" أين سأذهب .. اليوم تخرج مدللتي من المشفى ولا أكون هنا .. مزحة طريفة "

فور دخولي لغرفة المعيشة هتف الجميع :

" الحمد لله على سلامتك يا مريم .. " .

كانت رشا ووالدي هناك أيضا .. فرحة عارمة امتلكت قلبي فقد فرح الجميع لعودتي سالمة ..

" مريم أنا مسرور للغاية لأنك بخير .. " .

عانقت والدي مجيبة :

" شكرا والدي ، لقد فرحت بهذا كثيرا .. ".

كان اليوم مميزا للغاية فقد شعرت بأهميتي الكبيرة في البيت .. الفرحة التي رأيتها في وجه أبي وأمي تعني لي الكثير .. تلك اللمعة التي كانت في عيني أختي رشا وضحت لي الكثير من الأمور .

العائلة هي السند ، هي الدفء ، هي كل شيء جميل .. أتمنى أن يطيل الله في عمر الجميع .

ما إن خرجت من المشفى رن هاتفي مجددا ، ألقيت نظرة فكان ياسر المتصل ..

" مرحبا ياسر .. أين أنت ؟ " .

قال :

" في الجهة اليمنى .. هيا تعال .." .

التفت يمينا حيث وجدت ياسر داخل السيارة ، توجهت نحوه بخطوات متسارعة خوفا من خروج والد مريم المفاجيء فيحدث مالا يحمد عقباه .

" ها أنت يا رجل .. ألم يرك السيد عمر ؟ " .

قلت :

" كلا ، لقد غيرت طريقي فور رؤيتي له .. " .

"وكيف حال مريم ؟ " .

أجبت ببهجة :

" بخير الحمد لله .. لو تعلم يا ياسر كم أحبها .. " .

كان ياسر ينظر إلي بفضول ، قال :

" أظن بأن أمرا ما قد حدث .. أنا أعرفك جيدا يا رجل .. هيا فلتخبرني .. " .

قلت مبتسما :

" كلا ، لم يحدث شيء وإنما أنا فرح لأنها بخير .. ".

_" هي بخير والحمد لله .. ولكن مالذي جرى بينكما؟ أنت سعيد للغاية ووراء هذه السعادة سر .. " .

قلت :

" فلنرحل من هنا أولا .. سأروي لك ماحدث معي في الطريق .. " .

أجاب ضاحكا :

" قل هذا من البداية .. " .

كانت السعادة تغمر قلبي ، فمريم تكن لي نفس المشاعر .. ترغب بأن تكون قربي ومعي في كل لحظة لولا إصرار والدها على خلق مسافة كبيرة بيننا .. قررت أن أخبر ياسر بكل ما دار بيننا فهو بئر أسراري نحكي لبعضنا الصغيرة والكبيرة ...

"لقد وعدت مريم بأن لا أتخلى عنها مطلقا .. " .

رد ياسر بانزعاج واضح :

" ماذا ؟ هل أنت جاد ؟ " .

قلت بحيرة :

" نعم ، مابك ؟ " .

أجاب :

" لماذا تعدها وأنت تعلم بأنك لن تفي بهذا الوعد .. " .

قلت بتوتر:

" وهل تظن بأنني سأتخلى عن حبي لها بهذه البساطة .. لن يقف أي مخلوق في وجهي .. " .

"يا رجل ، والدها عنيد للغاية ولن تستطيع كسر شوكته لهذا أرجو أن تسمع مني و تبتعد عنها .. " .

قلت :

" والوعد الذي قطعته لها ؟ هل أخلفه ؟ ".

رد ياسر بغضب :

" أجل تخلفه .. إن قصة حبكما مستحيلة ، لا أرغب في رؤيتك تغرق أمام عيني ... " .

قلت :

" حتى أنت يا ياسر ظننت بأنك ستدعمني ... " .

" أنت تعلم بأنني أقف معك في كل قرار تتخذه إلا هذا الهراء .. أتعلم بأنك تؤذي نفسك بإعطاء قلبك الأمل للعيش معها ؟ " .

قلت :

" سنرى ذلك .. سنرى .. " .

أضفت قائلا :

" فلتتوجه إلى بيتك ومن ثم أكمل الطريق نحو بيتي بمفردي ..." .

نزل ياسر من منزله فور وصولنا إلى بيته لأكمل الطريق بمفردي.

وصلت إلى البيت حيث وجدت والدتي في المطبخ كالمعتاد ..

" إياد لقد تأخرت اليوم ، أين كنت ؟ " .

لم أكن أرغب في إخبار والدتي بما جرى مطلقا لهذا فقد أخذت من ياسر حجة قائلا :

" أجل لقد كنت رفقة ياسر ، لم أشعر بمرور الوقت .. "

قالت :

" لا شك أنك جائع .. فلتجلس .. " .

"كلا ، لست جائعا يا أمي .. أشعر بالشبع منذ وجبة الغذاء التي تناولتها رفقة ياسر .. " .

لم تصدقني والدتي ، هذا ما فهمته من كلامها حين قالت :

" تريد إقناعي بأنك أكلت .. لن تنطلي هذه الكذبة على والدتك مطلقا .. " .

ضحكت قائلا :

" والله أنا لا أكذب .. " .

كانت السعادة واضحة على ملامحي فقد أشرقت كشمس حجبت نورها لوقت طويل لتضيء فجأة ودون مقدمات ..

" إياد هل حدث أمر ما ؟ " .

قلت :

" كلا ، لماذا ؟ " .

قالت :

" لا ، هنالك أمر ما أسعدك .. منذ شهرين لم أرى هذه البهجة يا بني .. فلتخبرني مالذي حدث !! " .

الأم صاحبة الشعور الصادق ، القلب الدافىء ، مهما حاولت إخفاء ما يحدث معي ... تظل خلفي حتى ينزلق لساني فأبوح بما قررت كتمه .

" لقد كبرت يا بني بسرعة .. أصبحت تخفي عني أمورا كثيرة ... " .

قلت :

" كلا ، لا أخفي عنك أي شيء .. كنت في المشفى لهذا قد تأخرت في عودتي .. " .

ردت بقلق واضح :

" المشفى ! لماذا ؟ " .

" لا ، لا داعي للقلق .. لقد وقع حادث لمريم لهذا فقد كنت في المشفى .. ".

ردت بفزع :

" هل هي بخير ؟ ".

قلت مبتسما :

" بخير الحمد لله .. لقد تمكنت من رؤيتها لهذا أنا سعيد للغاية .. " .

قالت :

" والله هي محظوظة للغاية لأنك تحبها بشدة ، لو قبل والدها لكانت أسعد فتاة في العالم .. " .

قلت بتردد :

" ربما سيأتي اليوم الذي يقبل فيه ... " .

" ألازلت متمسكا بها ؟ إن سمع والدك هذا الهراء فإنه سيغضب بشدة .. " .

بعد رفض السيد عمر لي لن يقبل والدي بالتحدث معه مجددا حتى ولو كان موافقا على الزواج .. فغروره الزائد جعل الكل يمقته بما فيهم جاد و ميسون ..

" كلا وهل من الممكن أن أظل متمسكا بها بعد رفض والدها .. لا يمكن يا أمي .. " .

بيني وبين نفسي أفكر في الوعد الذي قطعته لمريم ، هل كان من الصواب جعلها تتمسك بي رغم كل الأشواك التي تحيط بقصتنا ؟

" إياد ، هنالك العديد من الفتيات اللاتي تحلمن بك .. سأختار لابني أجمل فتاة لهذا فلا تقلق .. " .

قلت بانزعاج :

" لا أرغب في الزواج مطلقا .. لهذا لا داعي لأن تتعبي نفسك يا أمي .. " .

قالت :

" بلا ، سأختار لك الأفضل .. ألا تثق في ذوق والدتك ؟ " .

نهضت من الكرسي منزعجا .. التفكير في الزواج من فتاة غير مريم يصيبني بالجنون .. و إن بقيت عازبا طوال حياتي فإنني لن أتزوج غيرها مطلقا !

صعدت إلى غرفتي مباشرة .. الأفكار المزعجة تسيطر على كل حواسي ، ماذا لو أجبرها والدها على الزواج من شخص يختاره لها ؟ مالذي سيحصل لي لو أن شخصا آخر سرقها مني تحت مسمى الزواج ؟

أمسكت بهاتفي كي أتصل بياسر ..

" ياسر ، أرغب في رؤيتك الآن .. " .

قال :

" لماذا ؟ هل حدث أمر ما ؟ " .

قلت :

" كلا و إنما أنا منزعج قليلا لا غير .. " .

أجاب:

" حسنا ، نلتقي بالقرب من المقهى .. " .

خرجت من المنزل دون أن ينتبه أحد لي ، تلك الأفكار المزعجة جعلت السعادة تختفي ، أردت أن ألتقي بياسر فهو الوحيد الذي يفهمني .

" مابك يا رجل ؟ هل حدث أمر ما لمريم ؟ ".

قلت :

" كلا ، أنا منزعج وأردت استنشاق بعض الهواء العليل رفقتك .. "

.

- " حسنا ، مالذي جرى ؟ " .

قلت بتوتر :

" أكاد أجن يا ياسر .. ماذا لو تزوجت رغما عنها ؟ " .

رد ياسر :

" لماذا تفكر بهذه الطريقة .. إن كانت من نصيبك فإنك ستتزوجها ولو وقف الجميع في وجهك .. " .

قلت :

" والله يا ياسر لقد تعكر صفو مزاجي ولا أرغب في التفكير أكثر .. " .

-" لا تفكر يا رجل ، دعها تأتي كما كتبها الله لك .. " .

قلت مبتسما :

" أتعلم ، أنت الوحيد في هذا العالم الفسيح الذي تفهمني .. " .

ضحك مجيبا :

" لا تخجلني .. هذا هو المعنى للصديق .. إنه واجبي .. " .

قلت :

" بل أخ وليس صديق .. ".

بقيت رفقة ياسر نتبادل أطراف الحديث حول كيفية تطوير العمل وتوفير المال ..

" والله لقد مللت من هذا العمل .. " .

قلت :

" ليس لدينا عمل آخر نقوم به .. لو اجتهدنا في الدراسة لكنا نعمل بالقلم فحسب .. " .

ضحك ياسر قائلا:

" أتتذكر مادة الرياضيات ، يارجل كم أكرهها .. " .

قلت :

" والله لا أظن بأنك تكرهها أكثر مني .. "

قال :

" فلنعد للبيت أشعر بالجوع .. " .

أجبت ببهجة :

" معك حق .. نلتقي غدا بإذن الله .. " .

عدت للبيت بعدما اخترق الجوع أمعائي لتخرج أصوات عديدة منها تشبه زقزقة العصافير ..

كان الجميع في غرفة المعيشة ، دخلت مباشرة حيث جلست حول المائدة قائلا بمرح :

" أنا جائع للغاية ، سأتناول كل الأطباق بمفردي .. " .

ضحك جاد قائلا :

" هذا هو إياد الذي نعرفه .. " .

أضافت ميسون :

" بالصحة والهناء يا أخي .. " .

قلت :

" يبدو شهيا .. " .

نظر إلي والدي قائلا :

" أين كنت ؟ "

أجبت :

" في الخارج مع ياسر .. " .

رد جاد :

" بدأت أغار من ياسر ، أنت تحبه أكثر مني يا أخي .. ".

قلت :

" ومن لا يحب أخاه يا رجل .. ياسر صديق الطفولة كما تعرف .. "

.

ردت والدتي :

" أدام الله صداقتكما يا ولدي. "

قلت :

" إن شاء الله .. فلنتناول الطعام قبل أن يبرد هيا .. " .

شرعنا في تناول الطعام ، لا أحد يستطيع مجاراة والدتي في الطبخ .. الرقم واحد في إعداد أفضل الوجبات ..

توجهت ميسون نحو المطبخ لغسل الأواني المتراكمة أما نحن فقد تحدثنا في مواضيع عدة .. فوالدتي فتحت نفس الموضوع الذي أزعجني للغاية قائلة :

" فريد لقد أخبرت إياد بأنني سأختار له فتاة مناسبة له ولكن الفكرة لم تعجبه .. " .

أيدها والدي مضيفا :

" والدتك معها حق ، هذا هو الحل الوحيد كي تنسى مريم وتكمل حياتك بسعادة .. ".

قلت بتوتر:

" لقد قلت لك أنني لا أريد .. أرجوكما لا ترغماني على فعل أمر لا أريده .. " .

وقف جاد في صفي فحاول وضع نقطة للموضوع حين قال :

" أظن بأن إياد حر في حياته .. لهذا من الصواب أن تجعلاه يختار شريكة حياته بنفسه .. " .

قلت :

" جاد الوحيد الذي يفهمني هنا .. حينما أكون مستعدا للزواج ، أخبركما لا ريب .. " .

رد والدي :

" لن نرغمك على أي شيء .. أنت رجل وتحسن التصرف .. " .

أجبت بامتنان :

" شكرا والدي .. أرجو أن تشرح لوالدتي هذا .. " .

ردت والدتي :

" حلمي الوحيد هو أن أراك سعيدا يا ولدي .. سأكون معك في أي قرار تتخذه ما عدا الهراء الذي تتحدث عنه كل مرة .. " .

كانت تقصد بالهراء تعلقي بمريم رغم رفض والدها .. و إن يكن لن أسمح لأي فتاة بأن تدخل حياتي ، إن لم تكن مريم فلن تكون أخرى ...

بعد الحديث الطويل الذي فتحناه جاءنا النوم فاتجه كل واحد منا صوب غرفته لينام .

بعد الترحيب الذي حظيت به من طرف عائلتي شعرت بأن السعادة التي تختلج قلبي قد تضاعفت ، إحساس جميل سيطر على فؤادي .. ليس هنالك في الوجود ما يعادل حب واهتمام العائلة ، كان ذلك اليوم مميزا للغاية حيث اجتمعنا على غرار العادة .. نتكلم عن الحادث الذي وقع لي وعن أمور شتى ..

ظلت أريج معنا ، تناولنا وجبة الغذاء معا ومن ثم غادرت ..

" مريم كيف تشعرين ؟ ".

أجبت والدتي قائلة :

" بخير الحمد لله .. رأسي يؤلمني قليلا لا غير .. " .

رد والدي :

" ستتحسنين بعد أسبوع بإذن الله .. لن تذهبي إلى العمل حتى تتماثلي للشفاء .."

قلت :

" طبعا .. " .

أضافت رزان :

" أيتها المهملة ، لم تشربي دواءك بعد .. " .

قلت :

" والله لم أتذكره مطلقا .. " .

ردت :

" لو أتركك بمفردك لن يكون بمقدورك العيش .. " .

ضحكت رشا قائلة :

" رزان لقد نسيت الدواء فحسب .. لا داعي للتباهي .. " .

ردت والدتي :

" مريم لا تكوني مهملة .. أرغب في رؤيتك كالحصان بعد أسبوع إن شاء الله .. " .

قلت :

" إن شاء الله.. " .

شعرت بالإرهاق الشديد لهذا فقد استأذنت للذهاب إلى غرفتي .. صعدت إلى غرفتي حيث استلقيت فوق سريري المريح .. أخذت أفكر في إياد ، حبي له يزداد يوما بعد يوم .. لن أستطيع نسيانه ولو أردت ذلك ، لقد أصبح كل شيء بالنسبة لي .. استطاع أن يأخذ مساحة واسعة في قلبي فأصبح ينبض حبا له .. أقضي معظم وقتي و أنا أفكر فيه .. الحوار الذي دار بيننا في المشفى حفظته عن ظهر قلب .. يا ليته دام أكثر .. يا ليت الزمن قد توقف عند تلك اللحظة فأبقى رفقته للأبد ..

وأنا أفكر في من سلب فؤادي و نبضاته رن هاتفي فجأة .. نظرت إلى الهاتف كانت زميلتي في العمل ياسمين .

" مرحبا مريم كيف حالك ؟ " .

قلت :

" بخير الحمد لله و أنت ؟ " .

ردت :

" الحمد لله ، سمعت أن حادثا قد وقع لك .. هل أنت بخير ؟ " .

قلت :

" بخير الحمد لله .. أنا بخير .. " .

ردت :

" والله لم أسمع سوى الآن و إلا فإنني كنت سآتي إليك .. " .

قلت :

" لا بأس .. شكرا لك .." .

أجابت :

" العفو هذا واجبي .. اهتمي بنفسك جيدا .. وداعا .."

قلت :

" و أنت كذلك .. وداعا .. " .

استطعت أن أغفو بعد تفكير طويل لأستيقظ على صوت رشا ..

" مريم .. هيا فلتنهضي .. " .

فتحت عيني بصعوبة بالغة مجيبة إياها :

" مالأمر ؟ كم الساعة ؟ " .

ردت ضاحكة :

" ظننت أنك ستدخلين في سبات ... إنها الخامسة... " .

نهضت بهدوء ، أمسكت شعري المنسدل فوق كتفي بشريطة ..

" لماذا لم توقظيني قبل الآن .. " .

قالت :

" لا بأس ، جسمك بحاجة للراحة لهذا لم أرغب في إيقاظك .. " .

اتجهت نحو دورة المياه حيث توضأت لتأدية الصلاة .. فأدعو الله أن يجعل إياد من نصيبي ، أن تحدث معجزة ما ويتحول رفض والدي إلى قبول ...

تمر الساعات بسرعة فيحل الليل ويحين وقت العشاء ... نزلت إلى الطابق السفلي حيث تضع الخادمة مختلف الأطباق الشهية في الصالة ..

" تفضلي عزيزتي فلتجلسي .. " .

قلت :

" أين الآخرين ؟ "..

قالت :

" سأناديهم الآن ... " .

بعد لحظات حضر الجميع ما عدا والدي ، سألت أمي قائلة :

" أين أبي ؟ " .

قالت :

" لديه عمل مستعجل ، سيبيت في فندق هذه الليلة .. " .

قلت :

" كان الله في عونه .." .

ردت رشا :

" ماهذا العمل يا ترى ؟ أرغب وبشدة معرفة نوع العمل الذي يجعله يبيت خارج البيت يوميا .. " .

أجابت والدتي :

" والله لا يهمني .. المهم أنني أعيش في ثراء فاحش .." .

قالت رزان :

" رشا محقة يا أمي ، عمل والدي غامض للغاية يجعلني أدخل في دوامة من الحيرة أحيانا .. " .

قلت :

" فلنأكل الآن .. نتحدث عن عمل والدي لاحقا .." .

ضحكت رشا مضيفة :

" حسنا ، كما تريدين .. " .

بعد مضي الوقت فرغنا من تناول الطعام الشهي .. تعرف الخادمة بطبخها اللذيذ ، تعودت عليه منذ الصغر كونها تعمل عندنا منذ وقت طويل ..

" سأصعد إلى غرفتي .. " .

أجبت رشا بمرح :

" أيمن ينتظرك لا تتأخري ... ".

قالت :

" أكيد .. لقد اشتقت إليه .. " .

ردت والدتي :

" يالهذا الجيل العجيب .. فلتذهبي هيا .. " .

قلت :

" و أنا كذلك سأصعد إلى غرفتي .. " .

ردت رزان :

" أرغب في التحدث معك على انفراد .."

قلت بحيرة :

" مالأمر ؟ " .

ردت :

" لا شيء .. نتحدث فحسب .." .

صعدنا إلى غرفتي حيث جلسنا فوق السرير ...

" مالأمر يا رزان ؟ " .

قالت :

" ضميري يؤنبني يا مريم .. أشعر بأنني السبب في الحادث الذي جرى لك .." .

" مالذي تقولينه ! مادخلك أنت في الحادث ؟ " .

أجابت بتوتر :

" لو التزمت الصمت تلك الليلة لما وقع الحادث لك .. " .

قلت :

" ماهذا الهراء .. ليس للأمر علاقة بذلك .. كنت أقود السيارة دون تركيز وفقط .." .

قالت :

" لقد كنت تفكرين في إياد لهذا فقد ذهب تركيزك .. "

ثم أضافت قائلة :

" أنا آسفة حقا .. لو حدث لك مكروه فإني لن أسامح نفسي مطلقا .." .

قلت مبتسمة :

" كلا ، لا تشغلي نفسك بالتفكير في هذا ... أنا بخير وليس لك علاقة بالأمر .. " .

ساد الصمت لدقائق لأقطعه بموضوع يشغل تفكيري منذ فترة طويلة قائلة :

" رزان ، ترى ماهو عمل والدي ؟ ".

ردت رزان :

" لا أعلم .. أمره عجيب للغاية .. سألته مرة فانزعج كثيرا قائلا بأنه أمر خاص به فحسب .. " .

قلت :

" حتى والدتي لا تعلم .. سر كبير خلف عمله ولا يرغب في إخبارنا .. " .

ردت :

" والله لا أعلم .. جعل الله في عمله خيرا لنا .. "

" إن شاء الله .. " .

" مريم ، مالذي قاله لك إياد ؟ ".

قلت :

" لا شيء .. " .

" لا شيء ؟ أتمزحين معي ؟ " .

أجبت :

" كلا وإنما أتى للاطمئنان على صحتي ومن ثم رحل .. ".

قالت :

" ورحل دون أن يخبرك بأي شيء ؟ ".

قلت :

" أجل .. سألني عن حالي وذهب .." .

ليس من المنطقي أن أبوح لرزان بالوعد الذي جعلت إياد يقطعه لي .. فلو قلت ذلك فإنها ستجعلني أصاب بالدوار من المحاضرة التي ستلقيها أو تجلعني أعظ أصابعي العشرة ندما ...

" جيد ، أتمنى أن يبتعد عنك ليسمح لك بنسيانه .. " .

أجبت بانزعاج :

" لا أريد أن أنساه ولا أرغب في ابتعاده .. سأظل أحبه لآخر نفس .. " .

قالت :

" والله لا أدري مالفائدة .. إن كان والدي غير راض بهذا الزواج فمالذي يجعلك تتمسكين به هكذا ؟ " .

قلت :

" لا يهمني شيء ، إن كان من نصيبي فإن الله سيسخر لي الأسباب ليجعله لي .. " .

تأفأفت قائلة :

" فلتفعلي ما يحلو لك ... ".

قلت بثقة :

" سأفعل نعم .. وسترين بأن حبي من سينتصر في الأخير ... " .

أجابت :

" أتمنى ذلك ، هل تظنين أنني لا أرغب في اجتماعكما ؟ " .

قلت :

" لا أظن ولكنك لا تقفين في صفي .. سنرى مالذي سيحدث مع الوقت ... " .

" أتمنى أن يحقق الله مرادك يا أختي .. سأذهب إلى غرفتي الآن .. تصبحين على خير ... " .

قلت :

" و أنت من أهل الخير .." .

خرجت رزان من غرفتي .. فتحت هاتفي و أخذت أدردش مع أريج حتى زارني النوم فغصت في بحر الحالمين .

لم يكن يمر يوما واحدا دون أن يزداد حبي لمريم .. في كل نفس أتنفسه أتذكرها ، كأنني أعيش من أجلها فحسب !

مرت الأيام بسرعة الضوء وما كنت أخشاه قد جاءني ككابوس مزعج لم أرغب يوما في أن يكون جزءا من صفحات قصتي ...

كنت في السوق أعمل كالعادة رفقة ياسر .. نمضي نهارنا هناك ، دون كلل أو ملل ..

" ما رأيك لو نذهب للغابة مجددا ..؟ " .

رد ياسر :

" ليس لدي أي مانع .. نكمل عملنا وننطلق ... " .

قلت :

" إن شاء الله .. المنظر هناك يثلج القلب .. " .

قال مبتسما :

" لا تنسى أننا على وشك أن نطرق أبواب الصيف لن تبقى جذابة كما كانت ... " .

قلت :

" لا بأس .. نذهب ونرى لن نخسر أي شيء .." .

قال :

" نذهب أين المشكلة ..." .

مع منتصف النهار انتهينا من العمل ، مما يعني انطلاقنا صوب الغابة التي أحببتها مذ ذلك اليوم .

صعدت إلى السيارة أنتظر ياسر ، بينما أنا أعبث بهاتفي سمعت صوت فتاة ينادي باسمي ..

" إياد .. " .

نظرت إليها .. كانت رشا أخت مريم الكبرى ..

كانت مفاجأة بالنسبة لي .. مالذي تريده مني ؟ لست معتادا على التكلم معها حتى ..

قلت :

" مالأمر ؟ " .

قالت :

" أرغب في التحدث معك عن موضوع مهم للغاية .. " .

شق التوتر طريقا نحوي .. رشا هنا ، الأمر لا يبشر بالخير مطلقا .. قلت :

" عسى أن يكون خيرا .. ".

أجابت :

" لا أرغب في أن يراني أحد هنا لهذا سأبدأ مباشرة .. " .

قلت بحيرة :

" نعم .. تفضلي .. " .

"اسمعني جيدا يا إياد .. شقيقتي مريم ستبدأ حياة جديدة رفقة من يستحقها لهذا من الأفضل لك أن تنسحب من حياتها بهدوء ودون مشاكل .. " .

قلت :

"ماذا ؟ مالذي تقولينه ؟ " .

أجابت قائلة :

" سترتبط شقيقتي بابن رجل أعمال كبير في المنطقة لهذا أرجو أن تبتعد عنها للأبد .. لا تقطع عهودا لن تفي بها من الآن وصاعدا .. " .

مالذي تقوله هذه المخلوقة ؟ هل أنا أحلم ؟ أين أنا ، مالذي يجري هنا ؟

لم أستطع تصديق ما قالته مطلقا لهذا فقد أجبت :

" كفي عن الكذب .. لا يمكن أن تفعل مريم بي هذا .." .

قالت :

" بلا ، لقد وافقت على زواجها منه و انتهى الموضوع .. ".

قلت :

" لا ، لا يمكن هذا مطلقا .. أنت تكذبين .. " .

قالت :

" ابتعد عن أختي خيرا لك .. لن يسامحك والدي إن افتعلت أي مشكلة .. عش حياتك بعيدا عنها .. " .

أخذت أحملق فيها بذهول تام .. هل ما تقوله صحيح ؟ هل تخلت مريم عني بهذه السهولة ؟ أليست هي من جعلتني أقطع لها عهدا بأن لا أتخلى عنها مطلقا ؟ لماذا تخلت عني .. لماذا ... !!

قلت :

" هل هذا قرار مريم أم أجبرها والدك على القبول ؟ " .

ضحكت قائلة :

" وهل هي صغيرة حتى يجبرها والدي .. "

قلت بسخرية تعلوها الخيبة :

" طبعا لن يجبرها بل سيجعلها تتزوج ممن تحب .. " .

أجابت :

" أرجو منك أن تتصرف بوعي .. لا تفكر في مريم مجددا وإلا فإنك ستسبب لنفسك العديد من المشاكل .. " .

قلت :

" هل أعتبر كلامك نصيحة أم تهديد ؟ " .

ردت :

" بل نصيحة .. أتمنى أن تتجاوز كل هذا ... وداعا ... " .

مالذي أتجاوزه ؟ مالذي يحدث هنا ؟ هل هي جادة في كلامها ؟ من سيأخذ عزيزتي مني ! لن أستطيع العيش مع هذا الألم مطلقا ...

غادرت بعد أن أدمت حربا داخل قلبي ، الشعور بالألم و الحسرة يكاد يقتلني ... أنا عالق بين الحقيقة المرة والأحلام الجميلة ..

" إياد مالذي كانت تفعله هنا ؟ " ..

قلت :

" لقد فعلها يا ياسر .. لقد فعلها .. " .

رد بحيرة :

" من ؟ مالذي جرى ؟ " .

قلت :

" لقد قالت بأن مريم ستتزوج يا ياسر .. لا أستطيع التصديق ... أين هو حبها الكبير الذي تكنه لي .. أين اختفت كل الوعود ؟! سأجن يا ياسر .. " .

صعد ياسر إلى السيارة ليجلس بالقرب مني مضيفا :

" لا يمكننا فعل شيء .. إن لم تكن نصيبك مالذي يمكنك فعله ؟ " .

قلت :

" ولكنني لا أستحق كل هذا .. كل ما كنت أريده إكمال بقية حياتي معها .. لم أكن أطلب المستحيل ... " .

كان ياسر يحاول التخفيف عني بشتى الطرق .. ليس من السهل رؤية من أحببت وهي تزف إلى رجل سواك .. كيف يمكنني تحمل ذلك .. لن يكون بمقدوري العيش مع كل ذلك الألم ...

" إياد ، لا تحزن يا رجل .. ستجد أفضل منها .. " .

قلت بحسرة :

" لكنني أريدها هي فحسب .. مالذي فعله السيد عمر بنا ... " .

سيطر الغضب علي فجأة .. لم أستطع منع نفسي من رغبة الذهاب لوالدها مطلقا .. ليس من المنطقي أن يجبرها على الزواج من شخص لا تريده ، قلبها معي .. لا يمكنها العيش مع غيري بسعادة .. إنها نصفي أنا .. نصفي أنا فحسب .

انطلقت بالسيارة مسرعا ، لم أتمالك نفسي مطلقا .. أرغب في رؤية السيد عمر حالا ...

" إياد إلى أين ؟ " .

قلت:

" إلى السيد عمر .. " .

قال :

" إياد لا تكن مجنونا .. هيا توقف .. " .

" كلا ، لن أتوقف ... مالذي يختال نفسه فاعلا ... لن أسامحه على فعلته مطلقا .. " .

" إياد .. لا تفعل شيئا تندم عليه لاحقا .. توقف أرجوك .. " .

بعد عدة محاولات من ياسر توقفت ..

" فلتستخدم عقلك قليلا يا رجل .. مالذي تريد فعله ؟ ستسبب لنفسك ولمريم المشاكل لا غير .. والدها عنيد ولن تتمكن من كسر شوكة عناده مطلقا ... " .

أضاف قائلا :

" الحل الأمثل هو أن تنسى مريم .. ".

اكتفيت بالاستماع لكلام ياسر ، فعقلي مشوش للغاية لا أستطيع حتى التفكير فيما يمكنني فعله لمنع هذا الزواج ... لن أسمح لها بالزواج مطلقا ..

كان الغضب المسيطر على كل حواسي كفيلا بحرق كل من يقف حاجزا بيني وبين مريم .. لو لم يوقفني ياسر لافتعلت أكبر مشكلة اليوم ، فالسيد عمر المحترم قرر إبعاد ابنته عني للأبد دون مراعاة شعوري وشعورها .. أليس من السخيف أن يقف والد الفتاة في وجه سعادتها ؟

بقينا داخل السيارة ، ألقى ياسر العديد من المحاضرات التي أحدثت شقوقا رهيبة على مستوى قلبي الذي لن يقبل بالهزيمة .. لقد وعدت مريم بأن أحارب من أجلها ولو استنزفت هذه الحرب اللعينة كل قواي .. لن أسمح بأن تجبر على الزواج من شخص غيري ...

" إياد ، سكوتك هذا يخيفني ..مالذي تفكر فيه ؟ " .

قلت :

" لا شيء .. كيف له أن يكون قاسيا لهذه الدرجة .. إن كانت الأبوة هكذا فلن أكون أبا مطلقا .." .

أخرج ياسر زفيرا قويا قائلا :

" كان الله في عونك .. ليس سهلا أدرك هذا تماما ولكن ماباليد حيلة ويجب عليك أن تنساها يا رجل ... لن تتوقف الحياة لو تزوجت رجلا آخر.. " .

أجبت بغضب :

" ستتوقف عندي .. هل يبدو الأمر سخيفا لهذه الدرجة ؟ أتدرك أنني بنيت سقف الأحلام رفقتها ، في كل نظرة أرميها نحو المستقبل تكون هي معي ... فعلا ، لا يؤلم الجرح إلا من به ألم .." .

أجاب :

" والله لا أدري ما أقول ... أنت عنيد للغاية ، سمحت لقلبك بأن يكون قبطان سفينتك ولن يكون من السهل عليك أن تتقبل خسارتها .. " .

أجبت بسخرية :

" خسارة ! سوف يأتي اليوم الذي تكون شاهدا على عقد قراننا .. تذكر كلامي جيدا .. " .

" ستجن لا ريب .. دعك منها ، عش حياتك .. ستجد الأفضل .. " .

قلت :

" الحديث معك لا يجدي نفعا لهذا فلنضع نقطة و لنعد إلى بداية السطر .. " .

أجاب بدهشة :

" الحديث معي لا يجدي نفعا !! بل معك يا رجل .. عنادك هذا سيسبب لك العديد من المشاكل ... " .

قلت بنفاذ صبر :

" لقد قلتها .. سيسبب لي ، ما دخلك أنت ؟ دعني و شأني.. " .

رد ياسر :

" مشاكلك هي مشاكلي .. لا تكرر ما قلته مطلقا .. " .

اعتذرت لياسر عما قلته فهو الوحيد الذي لن يتركني مطلقا .. أدرك تماما أنه سيحارب الجميع من أجلي .. علاقتنا مبنية على أواصل صداقة و أخوة قوية ، لن يستطيع أحد كسرها .

" إياد .. مالذي تنوي فعله ؟ صارحني .. " .

قلت بخيبة :

" وهل يمكنني فعل شيء يا ياسر .. سأخلف الوعد الذي قطعته لها ... لو رأيت اللمعة في عينيها ، لقد وثقت بي وأنا لست أهلا للثقة .. " .

رد ياسر :

" هي المسؤولة ولست أنت .. مالذي يمكنك فعله بعد أن أعلنت قبولها للزواج من غيرك ... أنا أعرفك جيدا ، كنت ستفعل المستحيل للإيفاء بوعدك ولكن قدر الله وماشاء فعل ... " .

قلت :

" لا أستطيع التصديق مطلقا .. لماذا يحدث كل هذا معي ؟ والله لا أريد شيئا آخر .. أرغب في الزواج منها فحسب و سأجعلها أسعد امرأة على وجه الأرض ..."

كانت علامات الأسى ظاهرة على وجه صديقي .. الوقوف عاجزا دون مساعدتي جعله حزينا للغاية ..

إن العجز سيطر على القلب الذي أحبها .. أخذت أفكر في حل لهذه المعضلة و لكنني لم أجد ما يمكنني فعله .. هل من الممكن أن تنتهي قصتي هنا ؟ هل سيطوى الكتاب دون أن تكون النهاية سعيدة ؟ .

رفض والدي لإياد لم يكن مبررا مطلقا غير أن

احترامي الشديد له جعلني أصمت على الظلم الذي أعيشه ولكن تماديه في اتخاذ قرارات مصيرية في حياتي جعلني أنتفض من مكاني كدولة بقيت تحت رحمة الاستعمار لسنوات فضاقت ضرعا بما يفعله فيها مقررة المواجهة والدفاع عن ممتلكاتها ... فهو لم يكتف بالوقوف كالحاجز بيني وبين من أحب بل أرغمني على قبول الزواج من شاب لا أعرفه حتى ...

في ذلك اليوم كنت في المشفى رفقة أريج حتى جاءني اتصال من والدي ..

" مرحبا والدي .. كيف حالك ؟ " .

قال :

" بخير الحمد لله .. أين أنت ؟ " .

قلت :

" في المشفى ، أحدث أمر ما ؟ " .

" كلا ، متى ستنتهين ؟ " .

قلت :

" في المساء .. لماذا ؟ " .

أجاب :

" نتحدث لاحقا .. " .

طوال تلك الفترة وفكري مشغول .. اتصلت برزان عسى أن تخرجني من بحر الحيرة ولكن دون فائدة ...

" أريج ، ترى مالذي سيقوله لي والدي ؟ " .

ردت :

" والله لا أعلم .. هل حدث أمر ما في الفترة الأخيرة ؟ " .

قلت :

" كلا ، مالذي سيحدث مثلا .. ".

" والدك غامض للغاية يا مريم .. لا يمكن أن نعلم مالذي يفكر به مطلقا ... " .

أجبت :

" لست أدري .. عسى أن يكون خيرا .. " .

حل المساء و عدت إلى البيت أخيرا .. كاد الفضول يقتلني ، لا أستطيع الصبر أكثر .. أرغب وبشدة في معرفة ما سيقوله والدي ..

كان والدي يجلس في غرفة المعيشة .. دخلت إليه مباشرة دون أن أغير ملابسي حتى ..

" مساء الخير والدي .. لقد أتيت .. " .

التفت نحوي قائلا :

" فلتجلسي .. " .

جلست بالقرب من والدي منتظرة الكلام الذي يرغب في قوله لي ..

بعد لحظات دخلت والدتي لتنضم إلينا ..

" مريم .. أنت هنا .. " .

قلت :

" أجل ، وصلت الآن .. " .

رد والدي :

" أرغب في التكلم معك في موضوع مهم للغاية .. " .

قلت بحيرة :

" ما هو ؟ " .

قال :

" تعلمين أنني أي فعل أقوم به فإنه يكون لمصلحتك أنت فقط .. أنا والدك ولن أرضى بأن تكوني تعيسة لهذا فقد قررت أن أجعلك زوجة لابن صديقي ... " .

وقفت بتوتر شديد ، قلت :

" عفوا !! مالذي تقوله يا أبي ؟ " .

قال :

" كما سمعت يا ابنتي .. سيتقدم لخطبتك ابن صديقي ولن يكون لك مجال للرفض .. لقد تكلمنا في الموضوع و سيأتي رفقة عائلته يوم الجمعة ... " .

قلت بغضب :

" ماذا عني ؟ ماذا عن سعادتي ؟ ألا تهمك ؟ " .

رد بثقة :

" بلا تهمني .. سيأتي اليوم الذي تقبلين رأسي فيه شاكرة على صنيعي هذا .. " .

التفت إلى والدتي قائلة :

" أمي مالذي يقوله ؟ أتسمحين بهذا الهراء يا أمي ؟ "

قالت :

" رأيي من رأي والدك .. لن تجدي رجلا مثله ، أنت محظوظة للغاية ... " .

وضعت يدي فوق رأسي غير مصدقة ... أحداث غريبة تجري هنا .. هل هذه حقيقة ؟ لا أستطيع التصديق .. صرخت بأعلى صوتي :

" كيف يمكنك فعل هذا بي يا أبي ؟ أنا لا أرغب في الزواج من أي شخص غير إياد .. لماذا لا تفهمني يا أبي .. لماذا ؟ " .

رد بغضب هو الآخر :

" لا أريد أن أسمع باسم ذلك الأحمق مجددا ... لقد قررت و انتهى الأمر .. فلتجهزي نفسك جيدا لا أريد أي خطأ .. " .

تفاجأت من قسوة والدي ، هل هذه الأبوة ؟ كيف أمكنه فعل هذا بي .. حاولت تغيير قراره بشتى الطرق ولكنني لم أستطع ..

" أرجوك يا أبي لا تفعل هذا بي .. أرجوك .. " .

قال :

" اسمعيني جيدا يا مريم .. لقد قلت لك سابقا بأن إياد لن يكون زوجا لك .. لهذا فلترضي بنصيبك .. " .

ثم أردف :

" لن تخرجي من البيت حتى تتم الخطوبة .. هل هذا مفهوم ؟ " .

التفت نحو والدتي مؤكدا كلامه :

" إن خرجت مريم من البيت فإنني لن أسامحك مطلقا .. " .

نظر إلى عيني بحدة مضيفا :

" ستتزوجين منه وهذا آخر قرار لي .. " .

سقطت على الأرض منكسرة غير مصدقة لِم حدث للتو ... كيف لي أن أتزوج غير إياد ؟

سقيت الأرض بأمطار من الدموع ، صرخت وبكيت ولكن دون جدوى .. لم ينتبه أحد لقلبي المنكسر حتى أمي ، لن تستطيع الوقوف في وجه والدي مطلقا فالخوف المسيطر عليها أقوى منها ...

دخلت رزان غرفة المعيشة فوجدتني منهارة خائرة القوى مبللة بالدموع ...

" مريم .. مالأمر يا عزيزتي ؟ " .

ارتميت في حضنها معلنة بداية أمطار دموع جديدة ..

" مالأمر ؟ هل حدث أمر ما ؟ أخبريني أرجوك ..." .

أخذت تمسح الدموع عني مضيفة :

" أخبريني يا أختي .. مالأمر ؟ " .

استجمعت طاقتي لأجيب مباشرة بكلمات متقطعة :

" سأرتبط ... بشخص ... اختاره ... والدي ... " ..

صرخت رزان بذهول :

" ماذا ؟؟؟ " .

قلت بصعوبة :

" لقد ... قال هذا للتو ... ابن صديق له سيتقدم لخطبتي دون موافقتي ... " .

عانقتني رزان بقوة قائلة :

" سنجد حلا .. لا تبكي أنا معك يا أختي .. لن أسمح بهذا الزواج مطلقا ... لقد تمادى والدي كثيرا ... " .

أضافت :

" مالذي قالته والدتي ؟ " .

أجبت بصوت مرتج :

" لا شيء .. توافق والدي على كل قراراته .." .

ردت :

" فلنصعد إلى غرفتك ونفكر في حل .. أوقفي شلال الدموع الآن .. ليس وقت البكاء أبدا ، يجب علينا أن نجد حلا .. " .

قلت بانكسار :

" لقد منعني من الخروج حتى تتم الخطوبة .. ".

ردت بنفاذ صبر :

" لقد تمادى فعلا ... أنا معك يا أختي ... لا تخشي من شيء ... " ..

عانقت رزان قائلة :

" شكرا جزيلا لك .. لن أنسى موقفك هذا ما حييت .." .

صعدت إلى غرفتي رفقة رزان .. مكثنا هناك فترة من الزمن نفكر في خطة ما تجعل والدي يغير قراره ...

" رزان ، أرغب في التحدث مع إياد عسى أن يجد حلا ... ".

قالت :

" كلا ، لا تقحميه في المشاكل .. سنفكر في الحل الأنسب .." ..

قلت بخيبة :

" لن نجد حلا يا أختي .. ربما هذا قدري .. " .

" كلا ، لن أسمح بأن تتزوجي من شخص لا ترغبين به حتى أنك لا تعرفينه حتى ... كيف لوالدنا أن يكون قاسيا كالصخرة هكذا ... "

.

قرع خفيف على الباب ..

" تفضل بالدخول .. " .

دخلت رشا الغرفة فصعقت بتيار من الحزن فور خطواتها الأولى باتجاهي ..

" مريم ، هل ما قالته لي والدتي صحيح ؟ " .

قلت :

" نعم .. " .

ردت رزان بغضب :

" أرأيت ظلم والدنا يا رشا .. ليس من المنطقي أن تتزوج من شخص لا تريده .. " .

قالت :

" والله والدنا يعلم الأنسب لها .. توقفي عن البكاء ، ستحمدين الله في كل ثانية بعد زواجك .. " .

تفاجأت من موقف رشا كثيرا .. حملقت فيها بذهول تام .. قلت :

" هل تظنين بأن والدي محق ؟ " .

ردت بثقة :

" طبعا .. أنا أوافقه على قراره .. " .

شعرت بانزعاج رزان من موقف رشا ، قالت :

" والله أنت ووالدك نسخة طبق الأصل .. كم أنت قاسية ... " .

ثم أردفت :

" أنت لا تعلمين ما معنى أن تتزوجي غير الشخص الذي نبض له قلبك .. فأنت وأيمن قصة حبكما يعلم بها الصغير والكبير ، لو أن والدي لم يرض به فإنك ستصابين بالجنون لا ريب .. " .

أجابت :

" وافق والدي على زواجي منه لأنه ابن عائلة محترمة وليس من عائلة تبيع الخضر ... " .

صرخت قائلة بعد أن نفذ صبري :

" توقفي ، لا أسمح لك بإهانة إياد .. أنت حرة في موقفك .. لا تحشري أنفك في أموري الخاصة من الآن وصاعدا .. "

ردت :

" لا تزالين صغيرة يا مريم ولا تعلمين أين مصلحتك .. لهذا من واجبنا أن نرشدك للطريق الصحيح .. " .

قلت :

" وفري جهودك لا أريد منك أي شيء .. " .

أضافت رزان :

" أنا معها و أنا كفيلة بإرشادها لهذا لا تقلقي مطلقا .. " .

قالت :

" فلتفعلا ما يحلو لكما ولكن فلتعلمي يا مريم بأن زواجك هذا سيتم و لن يمنعه أي مخلوق .. " .

خرجت رشا من الغرفة بعد أن نالت من بصيص الأمل الأخير الذي كان يحوم حولي ..

" مريم ، لا تكترثي لكلامها .. سنجد حلا بإذن الله .. " .

قلت :

" لا يمكن يا رزان .. لقد انتهى كل شيء .. " .

خرجت رزان من غرفتي غاضبة من رشا للغاية .. أما أنا فقد بدأ موسم تساقط الدموع عندي ، أفكر في مستقبلي و في إياد الذي سيطر على كل حواسي ..

أغوص في بحر الكآبة الذي لن أخرج منه إلا بعد إلغاء هذا الزواج ...

بعد الخبر الصاعق الذي سيغير حياتي رأسا على عقب لو أصبح حقيقة ، فضلت البقاء بمفردي لهذا فقد أوصلت ياسر إلى بيته لأبقى وحيدا أصارع الأفكار السلبية و الواقع ...

لم أعد إلى البيت إلا بعد آذان العشاء ...

" إياد ، أين كنت ؟ " .

أجبت والدتي :

" مزاجي معكر أرجو أن لا يأتي أحد إلى غرفتي .. " .

اندهشت والدتي كثيرا بقيت تنظربذهول أما أنا فقد صعدت إلى غرفتي مباشرة دون أن أشرح ما حدث معي فكل ما كنت أحتاجه البقاء بمفردي ..

أحكمت إغلاق الباب و جلست فوق السرير .. أمسك الهاتف بين يدي ثم أرميه ، أنا عاجز للغاية لا أستطيع فعل أي شيء للحفاظ على مريم ...

رن هاتفي فلم أنظر إليه أبدا لأنني وبكل بساطة لست في مزاج يسمح لي بالتحدث مع أحد .. أصبح يرن ويرن مما جعلني أمسك الهاتف و أجيب على المتصل صاحب الرقم المجهول ..

" من معي ؟ " .

صوت أنثوي حنون ينطق باسمي :

" إياد .. " .

قلت بحيرة :

" نعم ، من ؟ " .

ردت :

" إياد أنا مريم .. ".

فور سماعي لاسم " مريم " وقفت كالجبل الشامخ غير مصدق لما سمعته أذناي ..

" هل أنت مريم فعلا ؟ " .

قالت :

" نعم ، لا أستطيع التحمل يا إياد .. أرجوك أنقذني مما أنا فيه .. " .

قلت :

" ماذا عساي أفعل ، أنت من بادر بالقبول .. لن أستطيع فعل أي شيء .. " .

ردت :

" وهل تصدق بأنني موافقة على هذا الزواج ؟ " .

كنت واثقا بأن السيد عمر هو من أجبرها ولكنني أردت التأكد منها لهذا فقد أجبت :

" إنه زواج يا مريم .. لن يجبرك والدك على الزواج من شخص لا ترغبين فيه .. " .

قالت :

" بلا ، لقد أجبرني .. أنا لا أرغب في أحد سواك يا إياد .. " .

قلت :

" و أنا كذلك يا مريم ، لو تعلمين مالذي أمر به .. لا أستطيع التصديق بأنك ستكونين لغيري .. " .

ردت بسرعة :

" وهل ستتركني الآن ؟ " .

قلت :

" ماذا عساي أفعل ، أخبريني .. " .

قالت :

" لن أتزوج ولو اضطررت لقتل نفسي .. " .

أجبت بخوف :

" كلا ، ماهذا الكلام .. سنجد حلا بإذن الله .. " .

قالت :

" أتعلم بأن يوم الجمعة سيأتي رفقة عائلته .. " .

قبل أن تكمل قلت :

" لا تفقدي الأمل مطلقا .. ما دمت حيا لن أسمح لأي مخلوق بأن يبعدك عني .. " .

قالت :

" أتمنى ذلك يا إياد .. أنا أخشى أن لا تكون نصيبي .. ".

قلت :

" سنعيش حياتنا المتبقية مع بعضنا البعض لهذا لا تيأسي .. " .

ردت :

" إياد أنا ... " .

قبل أن تكمل ما أرادت قوله قطعها صوت السيد عمر وهو يصرخ قائلا :

" إياد !!!! " .

" تتكلمين مع إياد أيتها الحمقاء .. سوف أريك .. " .

فاجأني صوته كثيرا فقد ذهب الهدوء وحلت العاصفة دون مقدمات ...

" أيها المعتوه سوف أجعلك تندم على فعلتك .." .

أغلقت الخط مباشرة فعاود الاتصال بي ولكنني أغلقت الهاتف كي لا أزيد من الطين بلة .. أدري تماما بأنه سيصرخ و يزمجر في وجه مريم .. ستصبح رغبته في إتمام هذا الزواج أكثر ولن أستطيع فعل شيء ... لقد انتهينا ..

بدأ قلبي ينبض بسرعة ، مالذي سيفعله يا ترى ؟ إنه رجل مجنون و يستطيع فعل أي شيء للانتقام مني ، لم أكن أرغب في خلق مشكلة معه ولكن المشاكل تأتيني وهي تركض كالغزال ...

أظن بأن اللعنة قد حلت ! ماهذا الحظ العاثر ..

بعد مضي الوقت وأنا غارق في التفكير سمعت أصواتا تتعالى في الخارج .. خرجت من غرفتي مسرعا ...

" إياد ، والد مريم في الخارج ... مالأمر ؟ " .

لم أجب والدتي مطلقا بل خرجت حيث والدي وجاد والسيد عمر ..

" لقد أتى هذا المعتوه .. " .

رد والدي :

" فلتحترم نفسك يا رجل .. اذهب من هنا وإلا فإنني سأتهور و يحدث مالا يحمد عقباه .. " .

صرخ السيد عمر بغضب :

" وتهددني يا فريد .. اسمعني جيدا ، إن لم يبتعد ابنك عن ابنتي فإنني سأجعله يندم .. " .

قلت :

" ولماذا ترغب في ابتعادي ما دامت تريدني ؟ " .

نظر إلى والدي قائلا :

" لقد كان يتحدث مع ابنتي في الهاتف .. صدقني إن لم يبتعد عنها فإني سأحرقكم جميعا بنار غضبي .. " .

التفت والدي نحوي بنفاذ صبر ..

" هل ما يقوله صحيح ؟ أجب .. " .

اقتربت من والد مريم مضيفا :

" ابنتك ستكون من نصيبي شئت أم أبيت أتفهم ؟ " .

أمسك جاد بيدي قائلا :

" فلندخل إلى البيت هيا .. " .

قلت بغضب :

" لن أدخل إلى أي مكان .. السيد عمر يرغب في منح مريم لرجل آخر و أنا على قيد الحياة .. " .

نظرت إليه رافعا سبابتي :

" إياك أن تفعل هذا .. لقد بلغ السيل الزبى ... لن أسكت على ما تفعله من الآن و صاعدا .. " .

ضحك بسخرية مجيبا بنبرة حادة :

" لا تلعب معي يا ولد .. أنت لا تعرفني جيدا ولا تعرف ما باستطاعتي فعله .. ابتعد عن طريقي أحسن لك و لعائلتك .. " .

لم أكترث لتهديده مطلقا فقد ضقت ضرعا به وبتصرفاته ..

" طبعا ، أنا أعرفك جيدا .. رجل لم يهتم بسعادة ابنته فكيف له أن يهتم لأمري ؟ " .

صرخ والدي قائلا :

" إيااد .. ألم تنته القصة منذ مدة ؟ لماذا تفعل هذا بنا ؟ " .

قلت :

" قبل أن يفهم بأن مريم لي لن أتوقف عن فعل هذا مطلقا .. " .

نظرت إليه ولأول مرة بحدة قائلا :

" ولو قررت إرسالها لكوكب آخر فإني سألحق بها و أجعلها لي .. " .

أجاب :

" سوف أتخلص منك بطريقتي .. " .

رد والدي :

" مالذي تعنيه ؟ " .

قال :

" إن كنت ترغب في سلامة ابنك فأبعده عن طريقي .. " .

ضحكت مضيفا:

" والله أنا لست طفلا رضيعا حتى أخاف من تهديداتك الفارغة .. فلتفعل ما يحلو لك ، ستنكسر شوكتك يوما ما و ستمنحني ابنتك فرحا مسرورا .. " .

ضحك بخبث قائلا :

" سنرى ذلك .. سنرى .. " .

غادر والد مريم بعد إلقاءه التهديدات كالرصاص ..

" سوف أصاب بالجنون بسببك .. ألا ترى بأنه رجل غامض للغاية وقد ينفذ كل كلمة تخرج من فاهه ؟ " .

أجبت والدي :

" لن يستطيع فعل شيء ، مجرد كلام فارغ لا غير .. " .

رد جاد بتوتر :

" أظن بأنه رجل خطير يا إياد .. لقد سمعت كلاما عنه يثير الرعب في النفس .. " .

اصفر وجه والدي فجأة بعد سماعه كلام جاد ..

" مالذي سمعته ياجاد ؟ " .

قال :

" أظن بأنه متورط في أعمال غير قانونية .. اختطاف وقتل .. " .

قلت بسخرية :

" اختطاف وقتل ... هل أنت مجنون ؟ " .

رد والدي :

" بل أنت المجنون ، تقحم نفسك في المشاكل دائما .. " .

" مالذي سيحدث يا أبي ؟ من سيصدق هذه التفاهة .. " .

رد جاد :

" والله هذا ما سمعته ، أظن بأن الرجل خطير لهذا فلتبتعد عنه .. " .

صرخ والدي قائلا :

" ستبتعد عنه رغما عنك ، الرجل مجنون وأتوقع منه كل شيء .. " .

قلت :

" مجنون أنا معك ولكن الأعمال غير القانونية مستحيل .. " .

رد جاد :

" فلندخل للبيت هيا .. فلتفعل ما يحلو لك .. " .

أمسكني والدي بقوة قائلا :

" اسمع ، لا تجعلني أغضب منك .. إن سمعت بأنك تحوم حول ابنته فإنني لن أسامحك مطلقا .. " .

قلت :

" افهمني يا أبي ، لقد جعلها توافق على الزواج من شخص لا تريده .."

" و إن يكن ما شأنك ؟ فليذهبا للجحيم .. " .

أضاف قائلا :

" هيا فلتدخل .. هيا .. " .

فور دخولنا البيت ، بدأ التحقيق حول ما حدث من قبل ميسون و والدتي حيث قالت أمي :

" فريد ، مالذي حدث ؟ مالذي يريده والد مريم ؟ " .

أجاب والدي بازعاج واضح :

" ابنك المحترم يكلم ابنته بالسر .. " .

ردت ميسون :

" و إن يكن .. أين سيجد شابا مثل إياد .. " .

صرخ والدي قائلا :

لا تدعميه يا ميسون ، سوف أصاب بالجنون لا ريب .. " .

قلت :

" سأصعد إلى غرفتي .. " .

ردت والدتي :

" ووجبة العشاء ؟ " .

أجاب والدي :

" من سيرغب في الطعام بعد تهديد السيد عمر .. " .

ردت والدتي بفزع :

" تهديد ؟ أي تهديد يا فريد ! " .

" لقد قال بأنه لن يسامح إياد إن اقترب من ابنته مجددا .. ".

قالت :

" لن يقترب منها مجددا .. " .

نظرت إلي مضيفة :

" أليس كذلك يا إياد ؟ " .

أضاف جاد :

" لن يقترب لا تقلقي يا أمي .. " .

لن أستطيع الابتعاد عنها ولو أردت ذلك ، لقد عقدت العزم أن أجعلها من نصيبي .. أعرف بعنادي الشديد ولن أتراجع مطلقا حتى أحقق مرادي .

قلت :

" أنا أستأذن .." .

صعدت إلى غرفتي مباشرة حيث الهدوء ، بعيدا عن العواصف و الرعود .. غضب السيد عمر دمر كل شيء جميل .. أخذت أفكر في كلام جاد ، هل من المعقول أن يكون كلامه صحيح ؟

كلا ، ليس من الممكن أن يكون متورطا في تلك الأعمال القذرة ...

فور خروج رزان من غرفتي قررت الاتصال بإياد عسى أن يخرجنا من المأزق الذي نحن فيه .. كنت أتمنى لو حديثي معه يكون سببا في خلاصنا ولكن كل آمالي قد تحطمت إذ أن والدي قد سمع كل ما دار بيننا من حديث ليقيم حربا داخل البيت وخارجه ..

" تتكلمين مع ذلك الأحمق يا مريم .. أترغبين في أن أرتكب جريمة ؟ " .

قلت بكلمات متقطعة :

" ولكن .. أبي أرجوك .. لا أريد هذا الزواج .. " .

" وتريدين ذلك المعتوه أليس كذلك .. سوف ترين مالذي سأفعله به .. " .

خرج والدي من غرفتي غاضبا للغاية ، شعرت بالخوف الشديد منه ومما قد يفعله بإياد .. ليتني لم أتصل ..

بعد صراخ والدي القوي حضرت كل من رزان ورشا ووالدتي إلى غرفتي ..

" مالأمر يا مريم .. ماهي المصيبة الجديدة التي أوقعت نفسك بها ؟ " .

نظرت إلى والدتي ودون أن أنطق بحرف واحد نزلت الدموع بغزارة .. اقتربت رزان مني لتحتضنني قائلة :

" لا تبكي .. مالأمر أخبريني .. " .

ردت رشا :

" لا شك بأن الأمر متعلق بإياد .. سنرى مالذي سيفعله بعد الآن .. " .

خرجت رشا من غرفتي لتتبعها أمي أما رزان فقد بقيت معي تحاول التخفيف عني ..

" مالذي حدث ؟ أخبريني أنا معك لا تخشي من شيء .. " .

أجبت وبصعوبة :

" لقد اتصلت بإياد و .. " .

ردت :

" و ماذا بعد .. " .

قلت :

" سمعني والدي يا رزان .. أخشى أن يصيب إياد مكروه بسببي .. ليتني لم أتصل به .. " .

ردت بخوف شديد :

" مالذي فعلته يا مريم .. ألم أقل لك ألا تتصلي به .. مشكلة كبيرة مالذي سنفعله .. " .

قلت :

" أتمنى أن لا يحدث مكروه لإياد وإلا فإنني لن أسامح نفسي مطلقا .. " .

" لن يحصل له شيء .. أتظنين بأن والدنا مجرم .. لكن تهورك هذا سيزيد من عناده" .

بعد لحظات عادت رشا مجددا ...

" هل انتهى موسم تساقط الدموع أم ليس بعد ؟ " .

ردت رزان بغضب :

" كم أنت قاسية .. " .

قالت :

" مالذي فعله ؟ " .

قلت :

" من ؟ " .

ردت بسخرية :

" من غيره يكون .. إياد .. " .

أجابت رزان :

" تحدثت معه عبر الهاتف وسمعها والدنا فحسب .. " .

" يالهذا المتعجرف ، بالرغم من أنني حذرته من الاقتراب مجددا إلا أنه قد تجرأ على التكلم معك .. " .

قلت بحيرة :

" ماذا ؟ " .

قالت :

" لقد ذهبت إلى إياد صباحا و أخبرته بزواجك .. " .

ردت رزان بدهشة :

" يالخبثك ، وأنا التي ظننت بأنك لا تعلمين بالموضوع إلا مؤخرا ... من أخبركِ بالموضوع ومتى ؟ " .

أجابت :

"وهل تظنان أن أمرا ما يخفى على أختكما .. لقد فعلت ما باستطاعتي فعله ، كل هذا من أجل سعادتك يا مريم .. " .

قلت بألم :

"ولكن سعادتي مع إياد .. لا تفعلوا بي هذا ... لا تفعلوا ... " .

ردت :

" كفي عن هذا الهراء رجاءا ، إن والدي يريد أن تكوني سعيدة في حياتك .. " .

أجابت رزان :

" سعيدة ؟ فلتفهمي أن مريم لن تكون سعيدة سوى مع إياد .. " .

قالت :

" من الأفضل لكما أن تتوقفا عن التفكير فيه ، لن يكون من نصيبك .. " .

قلت بغضب :

" فلتخرجي من غرفتي .. لا أريد رؤيتك مجددا .. " .

" وتطردينني من غرفتك من أجله .. لا بأس يا مريم ، لا بأس .. " .

بعد أن سيطر الغضب علي حاولت رزان إبعاده عني بشتى الطرق ..

" ياله من ظالم ، لن أسامحه مطلقا .. " .

ردت رزان :

" لا تقلقي سنجد حلا بإذن الله .. " .

عاد أبي ليدخل إلى غرفتي مباشرة ..

" ذلك الأحمق يهددني أنا .. سوف أجعله يندم على اليوم الذي تجرأ على الوقوف في وجهي .. " .

ردت رزان بتوتر :

" مالأمر يا والدي .. " .

رد بغضب :

" اذهبي إلى غرفتك بسرعة .. " .

قالت :

" ولكن .. " .

قاطعها بصوت صاخب :

" قلت اذهبي .. " .

خرجت رزان من غرفتي بسرعة بعد صراخ والدي .. أما أنا فقد تسارعت نبضات قلبي من الخوف .. لم يسبق لي أن رأيت والدي هكذا .. بعينين حمراوتين ووجه أحمر من الغضب ..

" لا تجعليني أفقد أعصابي يا مريم .. ذلك الأحمق لن يصبح زوجا لك ولو بقي بمفرده فوق كوكب الأرض .." .

حاولت تجميع فتات شجاعتي لأجيبه ولكنني لم أستطع .. شرارة الغضب التي سيطرت على والدي لم تسمح لي بالتكلم ..

" إن سمعت أنك تتكلمين معه فوالله لن أجعله يرتاح في حياته .. "

.

" هل هذا مفهوم ؟ " .

أومأت برأسي خوفا " نعم " .

خرج والدي من غرفتي بعد أن أثار الرعب في نفسي ، فعادت رزان مجددا لتستفسر عما قاله لي ..

"مالذي قاله ؟ " .

قلت بحزن :

" لقد قام بتهديدي وخرج .. " .

ردت رزان :

" لا يمكننا الوقوف في وجهه يا مريم ، أظن أننا لن ننجح في التخلص من هذا الزواج .. " .

فعلا ، رزان محقة لا يمكن الوقوف في وجه والدي مطلقا .. أظن بأنه قد حان الوقت للاستسلام ورفع الراية البيضاء .. سأضع نقطة لقصة حبي ، لا يمكنني تعريض إياد لغضب والدي ، سأرضى بقدري الذي سيبعدني عن من أحببت للأبد ..

" رزان ، لن أخاطر بسلامة إياد .. تهديد والدي جعلني أصاب بالرعب لهذا سأتنازل عن حبي .. " .

شعرت رزان بالأسى فردت قائلة :

" أنا معكِ في أي قرار تتخذينه .. " .

قلت بمرارة :

" لن أنسى موقفكِ هذا مطلقا .." .

أضفت قائلة :

" أريد البقاء بمفردي رجاءاً " .

تلك الساعات التي مرت كانت بمثابة سنين ، كاد الشيب أن يغطي شعري الجميل .. سأكبر قبل الوقت يا والدي .. ألا تشفق على قلب صغيرتك يا أبي ؟

أنت تقضي على كل أحلامي دون أن تدري يا والدي ..

لقد استطاع اليأس أن يسيطر على كل حواسي فقد قررت الاستسلام مع بداية الحرب .. قد يبدو ضعفا مني أو جبنا ولكن خوفي على إياد جعلني أخضع لظلم والدي ...

الرعود التي كانت تعصف داخل قلبي أعلنت قدوم أمطار دموع غزيرة لن تتوقف مطلقا .. أحاول الهرب من الواقع بالتفكير في أمور قد تفرحني وتزيل غيمة الحزن عني لكن دون جدوى .. انتهت القصة الجميلة التي ستخلد في قلبي إلى الأبد .. لن أستطيع نسيان من خفق القلب له ولو تزوجت ألف مرة .. سيكون له بمفرده ولن أسمح بأن يسكن فيه سواه.

مرت الساعات والنوم هجرني ، ربما قد سافر بعيدا رفقة إياد ...

في صبيحة اليوم التالي لم تكن لي رغبة في العمل مطلقا لهذا فقد اتصلت بياسر معتذرا عن بقائي في البيت ..

" لن أستطيع القدوم اليوم يا ياسر ، لهذا فلتعمل بمفردك .. " .

رد ياسر :

" لماذا ؟ هل حدث أمر ما ؟ " .

قلت :

" مزاجي معكر للغاية حتى أنني لا أرغب في الخروج من المنزل مطلقا .. " .

_ " أظن بأن مشكلة ما قد حدثت ، هيا فلتخبرني مالذي جرى ؟ " .

_ " نتكلم لاحقا .. ".

_ " حسنا ، أنا هنا في كل وقت .. " .

_ " أدرك ذلك يا ياسر .. اعتني بنفسك .. " .

_ " و أنت كذلك .. اعتني بنفسك جيدا .. وداعا .. " .

أرغب في فقدان الذاكرة جزئيا ، أنسى كل ما حدث معي من مصائب ..

" إياد ، فلتفتح الباب يا أخي " .

أجبت :

" اتركيني و شأني يا ميسون ، ليس لدي أي رغبة في التحدث معكِ .. " .

ردت بإلحاح شديد :

" لن أذهب إلى مكان .. افتح الباب رجاءا .. " .

قلت :

" ستذهبين بعد لحظات .. أريد البقاء بمفردي أيمكن ذلك ؟ " .

" كلا ، لا يمكن .. لم تتناول شيئا منذ أمس وأنا قلقة عليك .. " .

قلت :

" ليس لدي رغبة في الأكل .. " .

قالت :

" افتح الباب .. " .

إلحاح ميسون أجبرني على تنفيذ رغبتها ، فتحت الباب لها وعاودت الرجوع إلى سريري ..

" أنت تشبه الأطفال في تصرفاتك .. ماذنب معدتك ؟ " .

ابتسمت قائلا :

" حسنا ، سأستحم أولا .. ".

قالت ببهجة :

" فلتستحم يا أخي .. أنا ووالدتي بانتظارك .. " .

بعد الاستحمام شعرت بالانتعاش و كل الطاقة السلبية التي كنت مشحونا بها قد اختفت .. نزلت إلى الطابق السفلي حيث كانت تجلس والدتي وميسون في غرفة المعيشة ..

" وأخيرا .. هيا بني فلتجلس .. " .

جلست بالقرب من والدتي ..

"هيا فلتشرب القهوة عسى أن يتعدل مزاجك يا بني .. " .

قلت :

" أين جاد ؟ " .

ردت ميسون :

" ذهب إلى الجامعة .. وقد قال بأنه تأكد من الكلام الذي قاله لك .. " .

قلت بحيرة :

" أي كلام ؟ " .

ردت والدتي بفضول شديد :

" أنا من يجب أن أسألك ، أي كلام يتحدث عنه جاد ؟ " .

أجبت بتوتر بعد تذكري لكلامه المتعلق بوالد مريم " قتل و اختطاف " ..

" لا شيء يا أمي .. لا تقلقي أنت .. " .

" كلا ، فلتخبرني الآن .. " .

قلت :

" سأذهب إلى السوق كي أساعد ياسر .. في المساء نتحدث .. " .

ردت ميسون :

" قل أنك لا تريد إخبارنا لا داعي لأخذ الحجج .. " .

" في المساء نتحدث بإذن الله .. سأخرج الآن .. " .

خرجت من البيت بفكر مشوش للغاية .. توجهت إلى السوق مباشرة حيث كان ياسر يعمل بمفرده ..

" ها أنت ذا يارجل .. لقد شعرت بالملل دونك .. " .

كان وجهي المصفر كفيلا بجعله يفهم أن مشكلة كبيرة على وشك القدوم ..

" مالأمر ؟ أنت لست على ما يرام .. " .

جلست فوق أحد الصناديق ، وضعت يدي فوق رأسي مضيفا :

" أنا تائه يا ياسر .. تائه للغاية لا أرى النور الذي أتبعه للخروج من هذا الظلام .. " .

" فلتخبرني مالذي حدث معك عسى أن نجد النور معا .. ".

قلت بتوتر :

" لقد اتصلت بي مريم بالأمس ولسوء حظنا سمعها والدها فأتى إلى بيتنا وقام بتهديدي أمام والدي وجاد .. " .

" ماذا ؟ إنه مجنون يا رجل .. لقد قلت لك دع الفتاة تتزوج وأرح نفسك .. " .

قلت بانزعاج :

" لا يمكن .. فليفعل ما يريد .. " .

رد ياسر بغضب :

" لن أسمح لك بالاقتراب منها .. إن السيد عمر غامض للغاية و أمره يثير الشك .. " ..

قلت :

" لقد سمعت كلاما عنه ولكني لم أصدق .. ليس من المعقول أن يكون صحيحا ... " .

رد ياسر بفضول :

" أي كلام ؟ " .

أجبت :

" قيل أنه يقوم بأعمال غير قانونية ..." .

قال بذهول :

" هل هذا صحيح ؟ " .

" كلا ، مجرد إشاعات لا غير .. " .

ساد الصمت بيننا لدقائق ليكسره ياسر بسيف حاد من الكلمات الجادة ...

" اسمع ، فلتبتعد عنها وعن والدها .. لا أرتاح له مطلقا ، ولابد أن الكلام هذا صحيح يا إياد .. ".

أنكرت كلامه قائلا :

" يستحيل هذا يا رجل .. لا أصدق أنه متورط في تلك القذارة .. " .

_" والله الزمن الذي نحن فيه ، توقع كل شيء ... " .

قلت :

" ليس لهذه الدرجة ، هل تصدق هذا ؟ " .

قال :

" نعم .. " .

موقف ياسر زاد الطين بلة كنت أتوقع منه النفي و عدم التصديق ولكنه لم يفعل ذلك ..

" اسمع ، دعك منها ستجد الأفضل .. ليس من المنطقي أن تحارب شخصا لا تعرفه حق المعرفة .. غموضه كفيل بجعله شخصا مشبوها فيه .. " .

قلت :

" دعنا منه .. ستبتعد عني مريم للأبد مالذي سأفعله ؟ " .

رد بضجر :

" مريم ، مريم ، مريم .. دعك منها يارجل ، إنها لا تستحق كل هذا .. " .

أجبت مبتسما :

" بلا تستحق هذا وأكثر .. لا تعرف معنى الحب الحقيقي يا ياسر .. في اليوم الذي تسكن قلبك فتاة ما فإنك لن ترى بعينيك هاتين غيرها .. " .

قال :

" والله لا أظن بأنني سأفعل كل هذا .. إن لم يقبل والدها مرة ربما أكرر التكلم معه للمرة الثانية ولكن ثالثة ورابعة .. كلا ..." .

قلت :

" إنه الحب يا صديقي يفعل المعجزات .. " .

مرت الأيام بسرعة فأعلنت خطوبة مريم لتصبح مرتبطة بشخص غيري .. ذلك الخاتم الذي تضعه في بنصرها الأيسر يخنقني فكأنه موضوع في رقبتي .. يعرقل تنفسي و يؤلمني بشدة .

انشطر قلبي لقطع صغيرة فور سماع الزغاريد تعلو من بيتها .. كنت بالقرب من منزلها أقتل قلبي وروحي .. رأيت الشاب الذي سرقها مني سعيدا لأنها ستصير ملكا له للأبد ، لم أستطع فعل شيء سوى النظر إلى البيت و التألم بعمق ..

بينما أنا غارق في الحزن رن هاتفي ..

" ياسر ، لا تتصل بي مجددا .. " .

رد :

" أين أنت ؟ " .

قلت :

" في المقبرة التي سيدفن فيها قلبي وكل مشاعر الحب النابعة منه .. " .

_ " لا تفعل هذا بنفسك .. سآتي إليك فورا .. " .

قلت معترضا :

" كلا ، أريد تجاوز كل هذا بمفردي .."

_ " بمفردك ؟ عفوا ، لا يمكنني هذا .. أترك صديقي وهو أحوج إلى من يقف بجانبه .. لا تعارض ، سآتي فورا .." .

لقد سمعنا أن الخطوبة ستكون يوم الجمعة لهذا فقد ذهبت إلى بيت مريم للقضاء على مشاعري ...

أردت أن أقف في وجه العاصفة بدل الاختباء منها ، ربما ياسر محق .. سأدعها تذهب ، سأودعها وأنا أبتسم حتى لو احترق فؤادي بالكامل .

بعد نصف ساعة وصل ياسر ، ركض نحوي بسرعة .. كان القلق واضحا على وجهه ..

" إياد ، مالذي تفعله هنا ؟ " .

قلت بحسرة :

" أودع مريم .. " .

_" فلنذهب رجاءا ، لا أريد أن يلحظ وجودنا أحد .." .

رفضت مغادرة المكان فأنا لم أقتنع بعد بأن كل شيء قد انتهى ..انتهت القصة بخاتم ذهبي وضعته في يدها اليسرى .. هل الأمر بسيط لهذه الدرجة ؟.

قلت :

"لن أغادر قبل أن أقتل الحب الذي داخلي.." .

_" أنت تقتل نفسك هكذا ، فلنذهب .." .

أجبت مبتسما :

" أنا بخير ، سنغادر لا تقلق .. لم يبق الكثير .. سينتهي كل هذا .. كن صبورا .." .

_" إياد ، لا تكن عنيدا .. سنجد لك الأفضل لا تقلق .. " .

قلت بسخرية :

" الأفضل ؟ لا أريد .. دعني وشأني .. " ..

_" لن أدعك .. فلنغادر الآن وفورا .. " .

لم يكن ينقصني سوى السيد عمر فقد خرج من البيت فجأة ليرانا بالقرب منه ..

اقترب منا بغضب شديد ، كان الحقد يتطاير من عينيه ..

" ألم أقل لك أن نذهب .. انظر لقد أتى المجنون .. " .

قلت :

" دعه يأتي ، مالذي سيفعله بعد الآن .. لقد انتهى كل شيء ..." .

بعد وصول السيد عمر إلينا قال بصوت عال :

" ألم أحذرك من الاقتراب مجددا ؟ " .

قلت بغضب واضح :

" وهل اقتربت ؟ هل أزعجتك ؟ هل فعلت شيئا ؟ هل اقتحمت بيتك مقرا بأن مريم تحبني أنا فقط .. " .

أمسك ياسر يدي قائلا :

" فلنغادر هيا .. "

قلت :

" لن أغادر .. فليفعل ما يحلو له .. أي أب أنت ؟ هل تسمي نفسك أبا ؟ الأب ليس هكذا .. أنت أناني لا تفعل سوى ما يرضيك أنت فحسب .. ستندم على ما أقدمت عليه .." .

رد بغضب شديد :

" لا يهمني أمرك ولا يهمني ما تقوله .. لهذا فلتذهب قبل أن أرسلك إلى أمك محملا على الأكتاف .. " .

ضحكت بسخرية مجيبا :

" محملا على الأكتاف ؟ هل ستصبح مجرما لأنني أحببت ابنتك بصدق ؟ " .

نظر إلى ياسر قائلا :

" اعتبرها نصيحة مني .. إن كنت ترغب في سلامة صديقك فلتغربا عن وجهي وإلا ..."

قاطعته قائلا :

" و إلا ماذا ؟ " .

أمسكني ياسر من يدي بقوة محاولا إبعادي عن المكان ..

" اتركني يا ياسر .. إنه ظالم ، لا سامحه الله .. لا سامحه الله .. " .

رد ياسر :

" سنذهب الآن قبل أن تكبر المشكلة .. " .

بعد عدة محاولات من ياسر ، غادرنا المكان ..

صعدت إلى سيارة ياسر بصبر نافذ ..

" دعني ألقنه درسا .. لقد نفذ صبري .." .

انطلق ياسر بالسيارة مضيفا :

" لن أسمح لك بالتهور .. لا تفعل شيئا تندم عليه لاحقا .." .

قلت :

" لن أندم .. لقد بلغ السيل الزبى ..إنه ظالم و أناني .. " .

ركن ياسر السيارة بالقرب من أحد المقاهي ..

" انتظر هنا ، سأحضر لك القهوة .. " .

قلت :

" وهل هذا وقتها يا ياسر .. النيران التي بداخلي من يطفؤها ؟ " .

قال بمرح :

" القهوة .. انتظرني سأعود بعد دقائق .. " .

إن ارتباط الفتاة التي أحبها أسوء ما قد يحدث لي ... لو أن والدها لم يفعل كل هذا لكان اليوم لنا ، لكانت الفرحة عارمة .. لأصبح الحب الذي بيننا متوجا بقبول العائلتين ..

عاد ياسر ليلقي محاضرة على مسامعي ولكن القطعة التي توجد يسار صدري تأبى ذلك .. عقلي يأمرني بالابتعاد والنسيان ولكن قلبي يرفض الفكرة .

عدت إلى المنزل في المساء بعد اليوم المتعب الذي مررت به .. عدت منكسر القلب والخاطر .. صعدت إلى غرفتي مباشرة دون أن يراني أحد .

رميت بثقل جسمي فوق السرير ، لم أصدق ما حدث .. رفضت التكلم في الموضوع رغم إلحاح والدتي ونحن على طاولة العشاء ...

" إياد ، كيف تشعر ؟ " .

قلت :

" رجاءا ، لا أرغب في فتح الموضوع مجددا .. " .

رد والدي :

" لا أرغب في سماع اسم تلك الفتاة مجددا .. كل ما أرجوه أن تبتعد عنا تلك العائلة للأبد .. ".

قلت :

" سأذهب إلى غرفتي .. " .

ردت ميسون :

" ولكنك لم تكمل وجبتك .. " .

قلت :

" لا بأس .. " .

عدت إلى غرفتي حيث أغرق في التفكير الذي أرهقني للغاية .. أفكر و أفكر .. انتهى كل شيء رغما عني ...

ذلك الإرهاق الفكري والجسدي الذي كنت أشعر به سمح للنوم بأن يفرض سيطرته ....

وصل يوم الجمعة بسرعة فوضع الخاتم في بنصري ..

تقدمت فدوى شقيقة أمجد الشخص الذي ارتبطت به ، تقدم أحر التهاني ..

الكل سعيد هنا سواي ! أرى الابتسامات توزع في المكان ..

خرج والدي من البيت ولكنه عاد منزعجا للغاية ..

مر اليوم وأصبحت مرتبطة بشخص لا أرغب به ، رن هاتفي مرارا وتكرارا ولكني لم أجب كوني لا أعرف رقم المتصل ..

أغلقت الهاتف و غصت في بحر النيام ..

في صبيحة اليوم التالي نهضت من سريري على أمل أن يكون كل الذي مررت به مجرد كابوس مزعج ..

توجهت صوب دورة المياه للوضوء ، أديت صلاتي و نزلت إلى الطابق السفلي ..

كانت رزان في غرفة المعيشة ترتشف القهوة على مهل ..

" صباح الخير .. كيف أنت ؟ " .

قلت بعجز :

" كيف يمكن أن أكون ... لقد تحطمت إلى أشلاء .. " .

قالت :

" سيمر كل هذا يا عزيزتي ، ستتعودين مع مرور الوقت .. " .

أجبت بسخرية :

" أتعود ! هل أتعود على ألم قلبي .. أم على ابتعاد إياد عني للأبد .. هل أتعود على ارتباطي من شخص لا أريده .. " .

قاطعني صوت والدتي وهي تقول :

" بالطبع ستعتادين على الوضع .. أنا تزوجت بوالدك ولم أكن أحبه ولكن مع مرور الوقت اعتدت على وجوده في حياتي .. ومع ولادة رشا زاد حبنا لبعضنا البعض .. " .

أضافت قائلة :

" و أنت يا مريم نفس الشيء .. ستعتادين على وجوده بقربك ومع إنجابك لطفلك الأول .. " .

قاطعتها قائلة :

" لن أعتاد على وجوده في حياتي ولو أنجبت ألف طفل .. لهذا فلتستيقظي من أحلام اليقظة يا أمي .. أنت ووالدي حطمتما حياتي ولن أسامحكما مطلقا .. " .

" لا تزالين صغيرة سيأتي اليوم الذي تأتين إلى والدك وتشكرينه .. " .

أجبت بنفاذ صبر :

" سأشكره طبعا .. سأشكره لأنه دمر حياتي ، ربما أشكره لأنه حطم فؤادي .. سأشكره لا ريب في هذا .. " .

ردت :

" لا فائدة من النقاش معكِ .. القرار الأخير يتخذه والدك وهو أدرى بمصلحتكِ .. " ..

ردت رزان :

" وإن كان والدي مخطئا هل تشجعينه على الخطأ ، كان من الأفضل لو وقفتِ مع ابنتك ولو مرة واحدة في حياتكِ .. " .

أجابت والدتي :

" أنا لا أراه مخطئا على العكس تماما .. هل ترين أن مستقبلها سيكون مشرقا رفقة بائع الخضر ؟ " .

قلت بغضب :

" أمي ، رجاءا لا تتكلمي عنه بهذه الطريقة ..." .

" لا تتحدثي عنه مجددا وإلا فإن والدك سيثور مثل البركان .." .

قلت :

" فليفعل ما يريد .. لا يوجد شيء أخسره بعد الآن .. " .

صعدت إلى غرفتي مباشرة بعد تسلل الدموع إلى عيني ، كم من المؤلم أن يشعر المرء بالوحدة وسط عائلته ..

أرغب في البقاء بمفردي لوقت طويل عسى أن يلتئم الجرح العميق الموجود داخل قلبي ...

اتصال آخر من نفس الرقم ..

" من معي ؟ " .

" أنا أمجد يا مريم أرغب في التحدث معكِ " .

شعرت برغبة في الصراخ بأعلى صوت قائلة له أن يذهب فأنا لا أريده ولكن خوفي من ردة فعل والدي قيدني تماما ..

" مالذي تريده ؟ ".

صوت ضحك يعقبه :

" أريد التحدث مع زوجتي المستقبلية ، أيمكن هذا ؟ " .

أجبت منزعجة :

" لا يمكن .. " .

من خلال صمته الذي دام لدقائق فهمت أنه قد تفاجأ من إجابتي أو بالأحرى لم يتوقعها مطلقا لهذا فقد أضفت قائلة :

" لست بمفردي ،نتحدث لاحقا .. " .

قال :

" حسنا ، سأتصل بك مساءاً " .

قلت بيني وبين نفسي " فلتذهب للجحيم .. " .

ماهذه العلاقة التي تورطت بها ؟ لا أريده ولا أرغب في التحدث معه مطلقا .. أظن أنني سأصارحه بحقيقة مشاعري فربما سينسحب من حياتي بهدوء ..

قررت الاتصال بصديقتي أريج للتشاور معها فكانت مؤيدة لي فهي من البداية تتمنى لو أنني أتزوج من إياد ..

" فكرة رائعة ، أخبري أمجد بأن والدك من أجبرك على القبول فربما ينهي هذه المهزلة .. " .

قلت :

" ولكنني أخشى من والدي .. سيقتلني لا ريب .. " .

قالت :

" دعينا نفكر في حل آخر لن نخاطر بكِ .. "

_" ولكن يا أريج لا أرغب في الزواج منه .. سأخبره وينتهي كل شيء .. " .

قالت :

" اسمعي ، ما رأيك لو أخبره أنا ؟ " .

أجبت بتردد :

" كلا ، لا يمكن أن أقحمك في مشاكلي .. " .

_" مشاكلك هي مشاكلي لا داعي لهذا الكلام .. أخبره أنا بحقيقة مشاعرك وينتهي كل شيء .. " .

راقت لي فكرة أريج كثيرا ولكن التردد سيطر على كل حواسي ، لم أستطع القبول أو الرفض ..

" مريم ، هل أنتِ موافقة ؟ " .

قلت :

" ليس بعد ،فلنفكر في العواقب يا أريج .. أتظنين أنها فكرة جيدة ؟ " .

أجابت :

" نعم ، إن أخبرته أنتِ فإن والدك سيغضب كثيرا ولا نعرف مالذي سيقوم به .. أما أنا فلا توجد أي مشكلة فهو لا يستطيع فعل شيء لي .. " .

أقنعني كلام أريج كثيرا ولكنني قررت تأجيل الفعل فقد تكلفني هذه الخطوة الكثير لهذا فقد أردت اتخاذ القرار الصحيح على مهل ..

" نفكر في الأمر جيدا ومن ثم نفعل اللازم .. " .

قالت :

" وأنا معكِ عزيزتي ، المهم أن تكوني سعيدة والباقي لا يهم مطلقا .. " .

كلام أريج هذا قد بعث الأمل إلى قلبي ولو كان قليلا ولكن مجرد وقوفها إلى جانبي يجعل الوحدة التي تسيطر على جسدي و فؤادي

وكل تفكيري تنسحب وترفع الراية البيضاء معلنة استسلامها بعد إصابتها بسهام الصداقة القوية ..

قلت :

" أشعر بالاختناق ، ما رأيك لو نتسوق ؟ " .

أجابت :

" نتسوق أين المشكلة .. " ..

" اتفقنا .. فلتجهزي نفسك بسرعة سآتي بعد ربع ساعة .. " .

قالت :

" إن شاء الله .. أنا بانتظارك .. " ..

قررت الخروج والتسوق رفقة أريج عسى أن أرتاح قليلا .. أغير الجو المنزلي الذي يعيق حركتي و تنفسي ..

قبل خروجي من البيت استقبلت طبلة أذني صوت والدتي وهي تقول :

" إلى أين ؟ " .

التفت نحوها قائلة :

" أنا ذاهبة مع أريج للتسوق ، هل أصبح خروجي من البيت ممنوعا أيضا ؟ " .

" كلا ، سألتك فحسب .. لا تتأخري كثيرا .. " .

قلت :

" حسنا .. وداعا .. " .

صعدت إلى سيارتي وانطلقت نحو بيت أريج بسرعة لأصل بعد عشر دقائق .. كانت أريج تنتظرني في الخارج ، ركنت السيارة قربها فصعدت مباشرة ..

" كيف حالك ؟ " .

قلت :

" بخير الحمد لله وأنتِ ؟ " .

ربتت على كتفي قائلة :

" ستكونين بخير إن شاء الله .. فكرت في الموضوع جيدا .. سأتكلم مع أمجد من أجلك .. " .

قلت :

" ليس الآن يا أريج ، دعينا لا نتهور .. " .

" ليس تهورا و إنما خطوة لتغيير حياتك .. أنقف مكتوفي الأيدي حتى يحين موعد الزفاف فلا نحسن فعل شيء ؟ .. " .

أضافت قائلة :

" متى موعد الزفاف ؟ " .

قلت بحسرة :

" لست أدري لم نتكلم في الموضوع بعد .. ولا أريد التكلم فيه مطلقا .. " .

ردت بثقة :

" سأتكلم مع أمجد ولا اعتراض في هذا ، لا أستطيع رؤيتك هكذا .. أرغب في عودة مريم التي تؤمن بالحب من جديد ، أريد أن تعيشي مع من خفق قلبك له وليس بالإجبار .. " .

قلت بامتنان :

" شكرا يا أريج .. أنتِ الوحيدة التي تفكر في سعادتي .. " .

تذكرت شقيقتي رزان فأضفت مبتسمة :

" ورزان أيضا .. " .

ردت أريج :

" هذا واجبي .. الصديق وقت الضيق يا فتاة .. إلى أين نذهب ؟ " .

" لقد غيرت رأيي ، أرغب في الذهاب إلى الشاطىء عسى أن تمتص موجات البحر حزني .. " .

ردت مبتسمة :

" سيكون الغد أفضل يا صديقتي .. لا تحزني .." .

قلت بقلب مؤمن :

" إن شاء الله ، أدرك أن الله بعظمته سينتشلني مما أنا فيه .. " .

" لم تخبريني ، هل ستوافقين على الزواج من فادي ؟ " .

قالت :

" لم أقرر بعد .. أنا أفكر بعمق .. " .

" فكري جيدا يا أريج .. " .

وصلنا إلى الشاطىء أخيرا .. أمضينا فترة وجيزة هناك .. نداعب حبيبات الماء بأقدامنا ، نشكي لموجاته همومنا ..

اتصال آخر من أمجد .. حاولت تجاهل اتصاله ولكنه كان مصرا على التكلم معي فيكرر الاتصال كل دقيقة ..

" من هذا يا مريم ؟ " .

أجبت بغضب :

" السيد أمجد .. يرغب في التحدث معي و أنا لا أطيقه .. " .

" ماذنبه إن لم يكن يعرف الحقيقة .. تكلمي معه هيا .. " .

قلت بتردد :

" ولكن لا أريد التكلم معه .. " .

" سأخبره بالحقيقة يا مريم .. كأننا في رواية أو ما شابه ، البطلة والبطل يحبان بعضهما بشدة ولكن الأب الشرير أبعدهما عن بعضهما البعض .. " .

قلت ضاحكة :

" أنتِ مجنونة لا ريب ..." .

ردت :

" لست مجنونة و إنما من الصواب إخبار أمجد بالحقيقة .. لا ذنب له في كل ما يحدث .. " .

أقنعتني أريج كثيرا لهذا فقد وافقت على فكرتها قائلة :

" حسنا ، أنا موافقة فلتخبريه ولكن انتقي أفضل العبارات .. " .

ضحكت مجيبة :

" لا تقلقي ، الأمر عندي .. " .

قلت :

" فلنعد إلى البيت الآن .. أوصتني والدتي بأن لا أتأخر .. " .

عدنا أدراجنا فأوصلت أريج إلى بيتهم لأواصل الطريق نحو منزلنا بمفردي .

كان الواقع الذي أعيشه قاسيا للغاية ، قد يبدو الأمر طبيعيا ولكنه ليس كذلك .. ارتباط محبوبة قلبك بشخص غيرك أمر يهز بدنك ولن تستطيع الصبر حتى لو كنت شامخا كالجبال .. فتحت عيني على الحقيقة المرة التي فور تذكري لها شعرت بغصة في قلبي .. ستبتعد عني مريم ، ستبتعد الفتاة التي حلمت بها ليلا نهارا .. ياللعبة القدر ، أرجو أن ينتهي كل هذا .. أرجو أن ينتهي ..

قرع خفيف على الباب ..

" تفضل .. " .

إنها والدتي التي لم ترض بتركي بمفردي مطلقا لولا إصرارها على ذلك لبقيت في غرفتي ليلة كاملة ..

"بني ، كيف حالك ؟ أأنت بخير ؟ " .

قلت :

" الحمد لله .. أنا بخير .. " .

أضفت قائلا :

" أستحم و أنزل لا تقلقي .. " .

ابتسمت قائلة :

" كيف لا أقلق .. لا أطيق رؤيتك هكذا يا بني .. " .

حاولت إبعاد الحزن عني من أجل والدتي وكل عائلتي لهذا فقد ادعيت اللامبالاة ..

" وكيف أنا ؟ أنا طبيعي للغاية .. أستحم و نتحدث ، موافقة ؟ " .

عانقتني بحنان مضيفة :

" موافقة .. أنا بانتظارك بني .. " .

خرجت والدتي من الغرفة فاستلقيت مجددا فوق سريري محاولا تجميع شتات نفسي التي تنشطر كل مرة ..

بعد الاستحمام اجتمعت مع والدتي ، أخذنا نتبادل أطراف الحديث ..

" ألم يستيقظ والدي بعد ؟ " .

" بلا ، يؤدي صلاته و يأتي .. " .

قلت :

" تقبل الله منه .. " .

" أخبرني ، هل أنت بخير حقا ؟ " .

قلت :

" أنا في أحسن أحوالي ، لا داعي للقلق ... " .

أضفت قائلا :

" هل سيأتي جاد اليوم من الجامعة ؟ " .

" نعم ، بحول الله .. " .

أضافت :

" ستأتي خالتك و ابنتها اليوم .. " .

قلت :

" هل ستمكثان هنا لفترة ؟ " .

" نعم ، لقد اشتقت لأختي كثيرا لهذا فقد اتصلت بها لتأتي وتبقى معنا لأيام .. ".

قلت :

" لا بأس ، سأذهب للعمل الآن .. أتريدين شيئا ؟ " .

" لا أريد شيئا سوى سلامتك بني .. " .

خرجت من البيت متجها نحو السوق لألتقي بياسر هناك ..

" صباح الخير .. ظننت أنك لن تأتي اليوم .. " .

قلت :

" يوم جديد ، بداية جديدة .. فلنترك الماضي يا ياسر .. " .

تفاجأ ياسر مني كثيرا فهذا ما قد فسرت به تلك النظرات التي تحمل في طياتها العديد من علامات الاستفهام والتعجب ..

" فلنتركه يا رجل .. هذا ما كنت أحاول جعلك تفهمه .. " .

النيران التي تحرق فؤادي لا يعلم بها أي مخلوق ولكنني قررت إخفاء كل ضعفي و حزني لفقدان مريم .. قررت أن أجعل تلك المشاعر بيني وبين نفسي ..

" نعم ، لقد كنت محقا .. سأجد الأفضل .. " .

ضحك ياسر قائلا :

" هذا هو صديقي الذي أعرفه .. فلتعش حياتك يا رجل ، ودعها تأتي كما كتبها الله لك " .

قلت :

" العمل ينتظر .. هيا .. " .

" والله لقد أتعبني هذا العمل كثيرا ، ما رأيك لو نفكر في عمل آخر ؟ " .

قلت :

" نفكر طبعا ، حتى أنا أرغب في التجديد .. " .

بعد مضي الساعات لمح ياسر من بعيد السيد عمر وهو يقترب ..

" ذلك المجنون قادم إلينا على الأغلب .. " .

قلت :

" أي مجنون ؟ " .

" وهل يوجد مجنون سواه ، السيد عمر .. " .

قلت بغضب :

" دعك منه ، على الأغلب سيشتري بعض الأغراض .. " .

لم يكن توقعي في محله فالسيد عمر لم يأت لشراء المستلزمات كما ظننت بل أتى لتوبيخي على ذنب لم أقترفه ..

" ألا تخجل من نفسك ، الفتاة مرتبطة و أنت تركض نحوها .. " .

قلت بحيرة :

" عفوا ! أتتكلم معي ؟ " .

رد بسخرية :

" بل مع ظلك .. اسمعني جيدا يا ولد لا تثر غضبي سوف أجعلك تعض أصابعك العشر ندما .. " .

رد ياسر :

" مالذي تتحدث عنه .. نحن لا نفهم شيئا .. " .

" أنا لا أتحدث معك ، ابنتي ستتزوج من أمجد شئت أم أبيت و كل محاولاتك لإيقاف هذا الزواج لن تنجح .. " .

" محاولات ؟ عن أي محاولات تتحدث ؟ " .

قال بغضب :

" لا تدعي البراءة .. لقد قال لي أمجد بأن شخصا قد ذهب إليه وأخبره أنني من أجبرها على القبول و أنها ترغب في الزواج من شخص آخر .. " .

أضاف قائلا:

" وهذا الشخص هو أنت .. ليس لأحد مصلحة في هذا سواك ولكن أبشر فقد فشلت خطتك ولكن انتقامي منك سيكون ناجحا .. " .

لقد جعلني كلام السيد عمر مندهشا للغاية فأنا لم أفعل ما قاله حتى أنني لا أعرف أمجد هذا ..

" أنا لم أفعل شيئا مما تقوله حتى أنني لا أعرف أمجد مطلقا لهذا توقف عن التفوه بالتراهات .. " .

" أنا لست أحمق حتى أصدقك .. أدرك تماما أنك ستعرقل زواج ابنتي لهذا فإني لن أسامحك مطلقا .. واعتبر كلامي هذا تهديدا .. " .

أجبت بصبر نافذ بعد تماديه في اتهامي :

" فلتفعل ما تريد ، المهم أنني لم أفعل شيئا من هذا .. " .

قبل مغادرته قال :

" انتظر انتقامي .. " .

غادر السيد عمر بعد أن جعل الدهشة تسيطر على كل حواسي ..

" إياد ، هل ما قاله صحيح ؟ " .

قلت :

" أتظن أنني أفعل شيئا كهذا ؟ صحيح أنني أحبها بشدة ولكن لن أسمح لنفسي بالذهاب لأمجد للتكلم عنها .. " .

رد ياسر :

" من فعل هذا إذن ؟ " .

قلت :

" لست أدري .. لست أدري .. " .

رد ياسر بقلق :

" أرجوك يا إياد لا تقترب منها مجددا ، تهديد والدها صريح للغاية وأخشى أن يفعل لك شيئا .. " .

قلت بسخرية :

" مالذي سيفعله ؟ هل سيقتلني مثلا ؟" .

" كن جادا يا إياد ، لا تقترب مجددا .. " .

طمأنت ياسر قائلا :

" لن أقترب يا رجل ، لا تقلق .. " .

طوال الوقت وأنا أفكر في من فعل هذا ولكنني لم أفلح في معرفة من ..

" إياد ، ألا تظن أن مريم من أخبرته ..! " .

قلت :

" كلا ، لا أظن أنها جريئة لهذه الدرجة .. شخص آخر غيرها .. " .

" ومن غيرها ؟ لا أحد يعلم بالقصة غيرها .. " .

قلت بحيرة :

" لا أدري يا ياسر .. " .

أخذت أفكر بعمق محاولا معرفة الذي أخبر أمجد بالحقيقة .. هل من الممكن أن تكون مريم ؟ .. كلا ، يستحيل أن تقف في وجه والدها ، ليست شجاعة لهذه الدرجة ..

حل المساء فعدت إلى البيت حيث وجدت خالتي وابنتها سهير ..

" خالتي ، كيف حالك ؟ " .

" بخير الحمد و أنت ؟" .

" الحمد لله .. " .

التفت إلى سهير قائلا :

" وأنتِ كيف حالك ؟ " .

ردت :

" بأحسن حال الحمد لله .. " .

خاطبت والدتي قائلا :

" لم أتناول شيئا ، أشعر بالجوع .. " .

" حسنا بني فلنذهب إلى المطبخ .. أختي سأعود بعد لحظات " .

ردت خالتي :

" حسنا .. " .

دخلت إلى المطبخ رفقة والدتي التي شعرت بأن لون وجهي شاحب للغاية ..

" إياد ، هل حدث أمر ما حتى أصبح لون وجهك مصفرا .." .

قلت :

" كلا ، ربما من الجوع .. " .

" فلتتناول طعامك على مهل سأعود إلى خالتك .. " .

مجيء خالتي وابنتها سمح بتغيير الجو في البيت ، فقد توقف الجميع عن التحدث عما حدث لقصتنا أنا ومريم ، نجتمع نتبادل أطراف الحديث الشيق بين الفينة و الأخرى محاولا نسيان ألمي .

عدت إلى البيت فوجدت رزان ووالدتي يتناولان وجبة الغذاء ..

" مريم ، تعالي ابنتي لقد أتيتِ في الوقت المناسب " .

قلت :

" أغير ملابسي وأعود .. " .

كان التفاؤل المسيطر على قلبي كبيرا لدرجة أنه زرع البسمة في وجهي فظن الجميع أنني اقتنعت بهذا الزواج ..

غيرت ملابسي بسرعة وعدت لتناول الوجبة ..

" مريم ، أنتِ سعيدة مالأمر ؟ " .

ردت والدتي :

" أظن أنها اقتنعت أخيرا أن أمجد الشخص المناسب لها .. " .

ضحكت مجيبة :

" بلا ، هو الشخص المناسب فعلا .. " .

ردت رزان :

" أظن أنها جنت يا أمي .. ".

" دعاني أتناول وجبتي على مهل .. أنا سعيدة فحسب .. " .

كان لسعادتي سبب وحيد وواحد ، فقد يختفي أمجد من حياتي للأبد ليترك المجال لإياد ..

" ألن تعملي اليوم ؟ " .

قلت :

" كلا ، غدا بإذن الله .. " .

مر اليوم بسرعة لتشرق شمس الصباح فألتقي مع أريج في المشفى حيث نعمل ..

" سأتصل بأمجد الآن .. " .

قلت :

" ليس الآن .. " .

ردت بثقة :

" بلا ، سأتصل فورا .. " .

وبالفعل اتصلت به و أخبرته بأنني أجبرت على القبول و أنني أحب شخصا غيره فأغلق الخط مباشرة ..

كنت أظن بأنني قد تخلصت منه للأبد ولكن ذلك لم يحدث فقد أخبر والدي بالأمر فظن الآخر أن إياد من أخبره ..مما زاد الطين بلة .

بعد الاتصال الهاتفي الذي قامت به أريج ، أصبحت السعادة ترافقني فبت كالفراشة التي تحوم في المشفى ..

" أريج ، شكرا جزيلا لكِ .. أنا سعيدة حقا .. " .

" لا داعي للشكر ، ننتظر ما سيحدث الآن .. ".

عدت إلى المنزل مساءا ، كان والدي منزعجا للغاية ففسرت ذلك بأن أمجد قد أنهى العلاقة ..

" مريم أريد التحدث معكِ .. " .

قلت :

" مالذي تريده يا أبي ؟ " .

" ذلك المعتوه أخبر أمجد بأنني من أجبرتك للقبول وأنكِ تحبين شخصا آخر .. " .

تلعثم لساني ، والدي يظن أن إياد من أخبر أمجد ..

" إياد ؟ ليس صحيح .. " .

قاطعني قائلا :

" ومن غيره يكون ، سوف أريه .. " .

قلت :

" هل أمجد أخبرك بهذا ؟ " .

" كلا ، لم يخبرني بالتفاصيل ولكني متأكد أنه ذلك المعتوه .. " .

أضاف :

" لا أحد لديه مصلحة في هذا .. قال بأن شخصا ما قد اتصل به و أخبره بهذا .. ".

قلت بخوف :

" لا أظن بأن إياد يفعل هذا يا والدي .. ربما شخص غيره.. " .

سلط نظره الحاد نحوي قائلا :

" لا يوجد غيره ، يرغب في ابتعاد أمجد ليعاود المحاولة .. ولكنه لن يفلح .. " .

قلت بتوتر :

" لن يفلح ! ألم ينهي أمجد كل شيء ؟ " .

ضحك مضيفا :

" هل أنتِ مجنونة .. لا يمكن هذا مطلقا لقد ألفت له قصة وقد صدقها لهذا لا تقلقي .. كوني سعيدة .. " .

تلك السعادة التي اختلجت قلبي غادرت بعيدا بعد الكلام الذي سمعته ، لن أستطيع إلغاء هذا الزواج مطلقا .. صعدت إلى غرفتي أجر الخيبة معي بعدما رافقت الأمل صباحا ..

اتصل أمجد بي فأخبرني بما حدث معه وقال أنه لم يصدق ما قيل كما أنه يرغب في إقامة حفل الزفاف بعد شهر واحد .

رميت بثقل جسدي فوق السرير بعد أن نال الحزن مني ، في هذه اللحظة فقط أدركت بأن إياد قد اختفى من حياتي وإلى الأبد .. بعد شهر واحد سأصبح زوجة رجل آخر .

اتصلت بي أريج لأخبرها بآخر المستجدات ..

" لقد انتهت القصة الجميلة يا أريج .. بعد شهر واحد سيكون حفل زفافي .. سوف أزف لرجل لا أحبه .." .

_ " مالذي تقولينه ؟ ألم يفسخ أمجد الخطوبة ؟ " .

قررت الدموع في هذه اللحظة أن تنزل بغزارة ..

" مريم لا تبكي ، أخبريني مالذي حدث ؟ " .

قلت بصعوبة بالغة و بكلمات متقطعة :

" أخبر أمجد والدي ... ووالدي .. يظن أن إياد مع أخبره .. فزاد كرهه له ... أما أمجد فقد ... " .

_" أكملي ، مالذي قاله أمجد ؟ ".

أجبت بمرارة :

" لقد ألف والدي قصة له .. فصدقه و قرر الزواج بي بعد شهر واحد .. "

" ماذا ؟ لا تقولي هذا يا مريم .. " .

قلت :

" والله هذا ماحصل بالضبط ..للأسف لقد فشلنا .. " .

لم تجد أريج ما تقوله فزواجي من أمجد أصبح حقيقة مرة يجب على قلبي تقبلها ..

" نفكر في حل آخر يا مريم لا تقلقي .. ".

قلت باستسلام :

" أنا أنتظر حدوث معجزة تمنع زواجي .. " .

" سنمنع هذا الزواج بإذن الله .. سأفكر في حل آخر .. ".

بعدما سمعت طرقا على باب غرفتي أغلقت الخط .. دخلت رزان إلى غرفتي بسرعة ، جلست بالقرب مني مضيفة :

" فلتخبريني بالحقيقة ..هل اقتنعتِ بهذا الزواج ؟ " .

قلت بسخرية واضحة :

" نعم اقتنعت ، يالحماقتك .. ".

" لماذا تدعين السعادة ؟ ألا ترين بأنك تزيدين من الطين بلة .. ".

قلت :

" كيف ؟ ".

" لو أنكِ تدعين المرض أو ما شابه ربما يحن قلب والدي فيوقف هذه السخافة ..." .

أجبت :

" ماذا ؟ أدعي المرض !! " .

" نعم ، ربما ينهي العلاقة إن رأى أن صحتكِ تتراجع بسببها .. " .

قلت :

" وهل تظنين أنه سينهي العلاقة ؟ " .

" فلنجرب مالذي سنخسره أحسن من تظاهرك بالفرح .." .

أجبت :

" لم أكن أتظاهر بالسعادة بل كنت سعيدة فعلا .. " .

سيطرت علامات الحيرة على وجه رزان ..

" لماذا ؟ " .

أجبت دون تفكير :

" لقد أخبرنا أمجد بالحقيقة وكنت أظن بأنه سيخرج من حياتي ولكن لا .. لقد فضل البقاء معي وبدلا من إنهاء كل شيء يقرر الزواج بعد شهر واحد .. " .

" هل فعلتِ هذا حقاً ، هل أنتِ من اتصل به ؟ " .

قلت :

" كلا لست أنا بل أريج .. ولكن والدي يظن أن إياد من أخبره .. " .

ردت بانزعاج :

" الآن فقد تأكدت أنكما غبيتان .. لقد عقدتما الأمر أكثر .. ".

قلت بحسرة :

" وما أدراني بأنه لن ينهي العلاقة .. " .

ردت :

" فلتسمعي من أختك .. تظاهري بالمرض لفترة وجيزة وحينما يأتي والدي لرؤيتك أخبريه بأنكِ لا ترغبين بأمجد كزوج لكِ .. ".

_" وهل تظنين بأن والدي سيغير قراره بمجرد مرضي ، لا أظن ذلك .. " .

قالت :

" فلنبدأ التمثيل الآن إن كنتِ ترغبين في الاجتماع بفارس أحلامكِ .. " .

_"بالرغم من سخافة ما تقولينه إلا أنني لا أملك حلا آخر ولا ضرر من المحاولة .. " .

ضحكت مجيبة :

" فلتستلقي على السرير بسرعة ، سأخبر الجميع بأنكِ مريضة .. ".

قلت :

" انتظري لحظة ، أي مرض أتظاهر به " .

قالت :

" صداع أو ما شابه .. دبري أمرك " .

خرجت رزان من غرفتي لتخبر الجميع أنني مرضت فجأة أما أنا فقد استلقيت فوق سريري منتظرة دخول والدي لأخبره بأن سبب مرضي تفكيري الزائد وقلقي المستمر و إن استمر الوضع على هذه الحالة فإن صحتي النفسية ستتدهور .

مكثت خالتي وسهير عندنا لمدة خمسة أيام ثم غادرتا .. في كل يوم يمر أشعر بأن الألم الذي بداخلي يتضاعف ، لن أستطيع نسيان مريم .. لن أستطيع ..

سمعت بأن زفافها قد اقترب فلم يتبق سوى عشرة أيام أو أقل بعد مرور الشهر بسرعة فهذا ما قد قاله والدها لي بعدما عاد ليقوم بتهديدي من جديد ...كلما مر يوم أختنق أكثر لا أرغب في وصول اليوم الذي تزف فيه لغيري ..

كنت جالسا في المقهى رفقة ياسر ، نتسامر كالعادة ..

" سيزوج علي الأسبوع المقبل .. سيقيم عرسا رائعا لا ريب .. " .

قلت :

" بارك الله لهما .. كم كنت أتمنى لو أتزوج من مريم و أقيم أجمل عرس في الجزائر ولكن انظر إلى سوء حظي ، لم يبق سوى عشرة أيام لزفافها و أنا لا أستطيع فعل أي شيء ... " .

_" ومالذي يمكنك فعله يا رجل .. لن أسمح لك بالاقتراب من ذلك المجنون مجددا .. " ..

أجبت مبتسما :

" إنه ظالم وليس مجنون .. لا يجيد سوى تهديدي ، ياله من رجل غريب .. ".

_" والله أنا أفكر في تهديده بطريقة جدية .. ماذا لو كان الكلام الذي قاله جاد صحيح .. لا تخاطر بنفسك يا رجل .. " .

قلت :

" فليذهب للجحيم إن كان متورطا في تلك الأعمال القذرة ..." ..

_" و إن يكن فإن الوقاية خير من ألف علاج ، ابتعد عنه فحسب .. " .

أجبت بصبر نافذ :

" وهل تراني مقتربا يا ياسر ، دعنا منه .. لا أريد التكلم عنه فهو يعكر صفو مزاجي .. " .

خرجنا من المقهى ، أخذنا نتسكع في الحي مشيا على الأقدام ولكن سوء الحظ لا يرغب في التخلي عني مطلقا .. في إحدى الشوارع مررنا بالقرب من السيد عمر الذي أصبحت أشمئز كلما رأيته .. لم أكن أرغب حينها سوى بالمرور بسلام دون أن تحدث مشكلة

بيننا .. كان يقدم حزمة من المال لرجل غريب الملامح لم أره من قبل فور رؤيته لنا انسحب من المكان بسرعة أما والد مريم فقد أشار بسبابته نحوي مبتسما بخبث شديد ثم صعد إلى سيارته وانطلق بأقصى سرعة ..

" والله لقد أصبح الأمر جديا ، كن حذرا .. " .

كنت أتظاهر بعدم المبالاة ولكنني بين وبين نفسي أشعر بالتوتر قليلا ...

" مالأمر الذي تتكلم عنه يا ياسر .. فلنواصل طريقنا هيا ... " .

رد ياسر :

" ألم ترى كيف وجه سبابته نحوك وتلك الابتسامة

.. والله إنه يخطط لأمر ما .. وحزمة النقود تلك ، الرجل غريب عنا ... " .

_" يا ياسر ، دعنا منه أرجوك .. " .

رد ياسر بغضب :

" مالذي لا تستطيع فهمه ، إنه يقوم بتهديدك كل مرة .. مالذي سيفعله حتى تأخذ تهديداتك لك بعين الاعتبار ؟ " .

قلت :

" يقوم بتهديدي ولا يفعل شيئا إنه يحاول إخافتي لا غير .. لا داعي للقلق يا صديقي ... " .

_" يالله ، لقد ابتلاني الله بصديق لا يهتم لحياته .. ذلك الرجل يهددك ، افهم هذا رجاءا .. " .

عانقت ياسر مضيفا :

" وهل يستطيع فعل شيء لي وأنا أملك صديقا مخلصا مثلك. ".

رد بتفاخر :

" لن يستطيع طبعا ، سأحميك لا تقلق .. " .

أضاف قائلا :

" انتبه جيدا يا إياد فأنا لست مرتاحا له .. " ..

قلت :

" لا تقلق ، سأكون حذرا للغاية بالرغم من أنني على ثقة من أنه لن يتجرأ على إيذائي .. ".

_"مالذي يجعلك متأكدا يا بني ، دعك من هذا التفكير فإنه سيقضي عليك .. كل حذرا وانتهينا .. "

أجبت :

" لا تقلق يا رجل كأنني طفل صغير ، لن يحدث شيء اطمئن .. " .

رن هاتف ياسر ، كانت والدته تنقصها بعض الأغراض لهذا فقد افترقنا عند تلك النقطة ..

أكملت المسير نحو البيت ولكن سيارة سوداء اعترضت طريقي .. نزل منها خمسة رجال ضخام القامة ..

" من أنتم .. مالذي تريدونه مني ؟ " .

اقترب واحد منهم فحاول إمساكي من يدي وتوجيه لكمة على وجهي ولكنني منعته إذ أسقطته أرضا .. قاومت الثاني أيضا ولكن سرعان ما هجموا جميعهم ، فيمسك بي ثلاثة منهم بإحكام ..

تعرضت للضرب المبرح من قبل مجهولين.. كادت عظامي أن تكسر لولا فرارهم في آخر لحظة حينما اقترب رجلان من المكان ...

" هل أنت بخير ؟ من هؤلاء ؟ " .

شعرت بأن عظامي قد كسرت لم تبق أي عضلة سليمة .. أشعر بألم رهيب في كل أنحاء جسمي .. أجبت بصعوبة ..

" لست أدري.. " .

خاطب الرجل الثاني صديقه قائلا :

" فلتتصل برجال الشرطة يا ناصر .. أسرع .. " .

كانت حالتي كارثية فقد خلف ذلك الضرب العديد من الندوب والجروح .. بعد لحظات وصلت سيارة الإسعاف فنقلتني إلى المشفى على جناح السرعة ..

فحصني الطبيب ووصف لي العديد من الأدوية ، لم أكن أستطيع الحركة لهذا فقد فكرت في الاتصال بوالدي ليأتي و يأخذني إلى البيت ولكنني تراجعت عن ذلك في آخر لحظة ، لو اتصلت به لتوقف قلبه فور سماعه الخبر لهذا فقد قررت الاتصال بياسر ..

" ياسر ، أين أنت ؟ " .

قال :

" في المنزل ، ماذا تريد ؟ " .

ترددت في بادىء الأمر ولكنني أخبرته :

" أنا في المشفى أيمكنك المجيء و إيصالي للبيت ؟ " .

رد بكلمات يبدو أن الخوف قد سيطر عليها لتصل إلي وهي ترتج :

" المشفى ؟ مالذي حدث معك ؟ " .

_ " أحكي لك فيما بعد ، أيمكنك المجيء ؟ " .

قال :

" طبعا يا رجل ، سآتي بسرعة .. " .

بعد مضي نصف ساعة وصل ياسر إلى المشفى فاتصل بي لأخرج إليه مباشرة ..

تفاجأ ياسر من هول المنظر فصرخ فور رؤيتي قائلا :

" ماهذا ؟ من الذي فعل بك هذا ؟ ".

قلت :

" دعني أصعد إلى السيارة ومن ثم أروي لك ما حدث معي بالتفصيل ... " .

صعدت إلى السيارة لأباشر في سرد ما حصل ..

" لا أدري من هم يا ياسر ، وجوه غريبة لم أرها من قبل " .

_" ألم أقل لك أن تتوخى الحذر .. لا شك من أنه السيد عمر ، أنا متأكد أنه هو .. سوف أريه .. " .

سيطر الغضب على صديقي فلم يستطع تمالك نفسه مطلقا إذ أنه يرغب في الذهاب إلى السيد عمر ، بصعوبة بالغة استطعت منعه ..

" توقف يا ياسر ، لا تتهور .. لا أريد أن تقع في مشكلة بسببي .. " .

قال بغضب :

"من سمح له بالاقتراب منك ، سوف ألقنه درسا لن ينساه مطلقا .. سوف أريه ما معنى أن يعتدي على صديقي .. " .

حاولت طرد غيمة الغضب التي أغمضت عيني ياسر ولكنه أصر على الذهاب إليه ..

" ياسر ، لن أسمح لك بالذهاب إليه .. ربما ليس هو ! " .

ضحك ياسر بسخرية مجيبا :

" ليس هو ؟ ألم ترى كيف وجه سبابته نحوك قبل لحظات .. وذلك الرجل الذي منحه حزمة النقود تلك ... أتظن أن هذا مجرد صدفة ؟ " .

قلت :

" ما دمنا لا نملك أي دليل لا يمكننا اتهامه يا ياسر .. أرجوك لا تثور ، أترغب في أن تصبح تحت التهديد ؟ " .

رد غير مبال لما قد يحدث معه :

" لا يهم ، إن لم نضع له حدا اليوم فإنه سيفعل ذلك مرة أخرى .. " .

قلت :

" أنا أشعر بالإعياء ، لا أريد أي مشكلة يا ياسر .. فلتوصلني للبيت أرجوك .. " .

أجاب :

" حسنا ، كما تريد .. " .

قلت :

" لا تذهب إليه سنقع في مشكلة أكبر .. " .

أوصلني ياسر إلى بيتي و عاد أدراجه ..

فتحت والدتي الباب وفور رؤيتها لي كادت أن تسقط أرضا من شدة خوفها ..

" إياد ، مابك ؟ مالذي حل بك يا بني ؟ " .

صرخت بأعلى صوت تنادي والدي :

" فريد .. فريد .. تعال ... " .

أقبل والدي بسرعة ، نظر إلي بقلق شديد ..

" بني .. مابك ؟ " .

ردت والدتي :

" ساعده للدخول يا فريد .. " .

دخلت إلى غرفة المعيشة حيث استلقيت مباشرة .. كان جسمي يؤلمني كثيرا ، لم أستطع الاستلقاء بأريحية ..

" من فعل بك هذا يا بني ؟ " .

رد والدي :

" هل تعرضت للضرب ؟ " .

قلت :

" نعم .. " .

"من الذي تجرأ على الاقتراب من ابني .. من أخبرني ؟ ".

_" والله لا أدري .. لا أعرف أي واحد منهم .. " .

ردت والدتي :

" دعه الآن يا فريد .. سيحكي لنا فيما بعد .. " .

قلت :

" هل لي بكأس ماء ؟ " .

ردت والدتي :

" فورا .. سأحضره لك .. " .

نظر إلي والدي مضيفا :

" من فعل هذا يا إياد .. لا تخفي عني شيئا .. " .

_" صدقني لا أعرف .. وجوه غريبة لم أرها من قبل .. المهم أنني بخير .. " .

رد بغضب :

" من فعل هذا يجب أن يحاسب على فعلته .. إنه ذنب لا يغتفر .. " .

قلت :

" لا يمكنني اتهام أحد يا أبي وبما أنني لم أعرفهم لا أستطيع تقديم شكوى .. " .

أضفت قائلا :

" لا تقلق يا والدي ، أنا بخير الحمد لله .. " .

عادت والدتي تحمل كأس الماء ..

" تفضل بني .. فلتشرب .. " .

نظرت إلى الكيس الذي وضعته فوق الطاولة فور دخولي :

" فلتشرب الدواء يا بني .. " .

قلت :

" نعم .. " .

كان فكري مشوشا للغاية ، كل ما يدور في رأسي سؤال وحيد " هل السيد عمر المسؤول عن هذا ؟ "

أتمنى أن لا تكون الإشاعات صحيحة ..

أخبرت رزان الجميع بمرضي المفاجيء وكما كان متوقعا فقد دخل والدي إلى غرفتي ليطمئن على ابنته الصغرى ..

" مالذي جرى ، منذ قليل كنتِ بخير .." .

عزمت على تنفيذ فكرة رزان ولو كانت فاشلة لهذا فقد أجبت :

" إنه التفكير المتواصل يا والدي ، أشعر أن رأسي سينفجر .. " .

دخلت والدتي كذلك فقالت فور دخولها :

" ماهذا المرض المفاجيء ؟ ألم تكوني بخير .. " .

ردت رزان :

" أظن بأن كل هذا بسبب قلقها و توترها الدائم ..."

رد والدي :

" ومالذي يجعلها تتوتر ؟ " .

انتهزت الفرصة لأعبر عما يختلج صدري :

" أنا أفكر في هذا الزواج الذي أجبرتني عليه .. لا أرغب فيه و إن بقيت مصرا على قرارك فإني سوف أقتل نفسي وأريحها من هذا العذاب .. " .

رفعت رزان سبابتها للأعلى دلالة على تشجيعها لِما أقول ، لهذا فقد تحمست للغاية وقلت دون خجل :

" ماهو العيب الذي وجدته في إياد يا أبي ؟ " .

بدت علامات الانزعاج واضحة على ملامح والدي ودق ناقوس الغضب ..

" أفهم من كلامك هذا أن السبب الرئيسي إياد ؟ " .

أجبت بثقة عمياء :

" أجل .. لا أريد الزواج بأمجد بل ..." .

وقبل أن أكمل كلامي قاطعتني والدتي وهي تقول :

" والدك أدرى بمصلحتك يا مريم ، كفي عن هذا .. " .

رد والدي :

" من أجله تدعين المرض .. لا بأس .. لا بأس .. " .

خرج والدي من غرفتي غاضبا بشدة أما والدتي فقد عاتبتني على فعلتي هذه و أدركت أنني لا أعاني من أي صداع ..

بقيت رفقة رزان في الغرفة ، فشلت هذه الفكرة أيضا لا بد من أن الحياة لن تجمعني به أبدا .

أصبح الوقت سريعا للغاية ولم يتبق لحفل الزفاف سوى عشرة أيام ، طوال تلك الفترة وأنا أنتظر حدوث معجزة ما تغير من قدري .. ولكن لسوء حظي لم يحدث شيء من هذا القبيل .

التجهيزات قد بدأت منذ فترة ، الكل سعيد هنا ماعدا رزان التي تقف في صفي .. بصيص الأمل الذي يلمع في الأفق اختفى ولم يعد له أي أثر ..

و أنا على وشك الخروج من المشفى تفاجأت بياسر صديق إياد وهو ينادي باسمي ...

" مريم ، انتظري .. أرغب في التحدث معكِ .." .

قلت :

" نعم ، أنا أستمع .." .

" اسمعيني جيدا يامريم .. فلتبتعدي عن إياد للأبد .. " .

تلعثم لساني فلم أستطع تكوين جملة مفيدة من دهشتي ..

" مالذي تقوله يا ياسر .. ؟ " .

رد بغضب شديد :

" ألا تعلمين مالذي فعله والدك بصديقي .. ألا تعلمين أنه قد أرسل رجالا لضربه .. ابتعدي عنه فوالدك سيحول حياته لجحيم .. أرجوكِ فلتتزوجي و دعي إياد يعيش بسلام .. " .

لم أصدق ما سمعته ، هل قال أن والدي قد أرسل من يضرب إياد ؟ ..

" هل إياد بخير؟ هل هو بخير ؟ أرجوك أخبرني .. "

قال :

" كيف يكون وقد كسرت عظامه .. إن والدك مجنون لا ريب .. أرجو أن تبتعدي عنه وإلا فإنه سيواصل في إلحاق الأذى بصديقي .. " .

غادر ياسر بعد أن أشعل نارا في قلبي لن تنطفىء إلا بعد أن أرى إياد بأم عيني .. كيف حاله وهل هو بخير يا ترى .. أريد أن أطمئن على حاله بأي وسيلة ولكن كلام ياسر قد منعني من الاقتراب منه ..

أقبلت أريج نحوي فوجدتني واقفة كالجدار دون أي حركة .. شاردة في ما سمعته للتو ..

" مريم .. مريم " .

_" نعم .. " .

ردت بفضول :

" مالأمر ، مالذي حدث معك حتى اصفر وجهك هكذا ؟ " .

قلت بتوتر :

" لقد كان ياسر هنا وذهب للتو .. أتعلمين أنه قد أمرني بالابتعاد عن إياد و أنا التي كنت أظن أنهما يفكران في حل قبل حدوث الكارثة .. " .

أضفت :

" ولكن معه حق .. يجب أن أبتعد عنه للأبد عسى أن يعيش بسلام .. " .

ردت أريج :

" مالذي بوسعنا فعله .. فلترضي بنصيبك .." .

_" أتعلمين أن والدي قد أرسل أشخاصا لضربه .. " .

تفاجأت أريج كثيرا ، فلم تجد الكلمات المناسبة التي تعبر عن دهشتها ، قالت :

" لا تقولي هذا ، لا أصدق أنه يفعل شيئا كهذا .."

قلت بحسرة :

" بلا ، توقعي كل شيء .. فلنذهب هيا .. لقد جن لا ريب ..." .

لم أتوقع أن ينفجر غضب والدي على إياد فيضربه ضربا مبرحا .. هل هذا جزاؤه لأنه أحبني بصدق ؟ هل عقاب المحب الضرب والشتم ..؟ لقد تماديت يا والدي ولن أسكت هذه المرة مطلقا ...

قبل أن نصل إلى بيت أريج طلبت منها أن تتصل بإياد و تطمئن على صحته عسى أن يرتاح قلبي لأكمل طريقي نحو البيت والغضب يجري في عروقي ، لن أسكت على هذا الظلم مطلقا ..

فور وصولي إلى المنزل دخلت بسرعة إلى غرفة المعيشة بحثا عن والدي فالقنبلة المزروعة داخلي ستنفجر في أي لحظة ..

لم يكن والدي هناك بل كانت والدتي تجلس فوق الأريكة وتتابع برنامجا تلفزيونيا ..

" أين أبي ؟" .

قالت :

" ليس هنا ، أينقصك شيء ما ؟ " .

_" كلا ، أريد التحدث معه في موضوع مهم للغاية .. " .

ردت :

" مالأمر المهم الذي تتحدثين عنه ؟ " .

قلت :

" حينما يأتي والدي أخبريني .. رجاءاً ".

_" أتمنى أن لا يكون نفس الموضوع .. " .

أجبت بغضب :

" أتدرين مالذي فعله زوجك المحترم ؟ " .

ردت بدهشة :

" مالذي فعله ؟ " .

ضحكت بسخرية مضيفة :

" ألا تقفين في صفه مهما تعددت الأخطاء التي يقع فيها ؟ " .

قالت :

" إن فعل شيئا ما فله أسبابه الخاصة " .

_" وهل التعدي على الناس أمر تستطيعين تبريره ؟ ".

ردت :

" على حسب الشخص الذي قام بالاعتداء عليه ، إن كان يستحق ذلك فأنا أقف معه لا ريب في ذلك ..".

_"وهل تظنين أن من أحبني بصدق يستحق أن يضرب ؟ أو أن تكسر عظامه ؟هل هذا عقاب الذي يحب ابنتكما ؟ " .

رأيت علامات الدهشة في وجهها ولكنها لن تقف في وجه والدي مهما فعل من أشياء سيئة ...

" إياد ، إنه يستحق ذلك .. لم يرض بتركك و شأنك هذا هو جزاؤه .. فربما يعود عقله إلى رأسه و يريحنا منه .. " .

قلت بغضب :

" أنا الحمقاء التي أخبرتكِ .. " .

صعدت إلى غرفتي بدم يغلي ، أنتظر عودة والدي لأخرج كل ما عندي ...

فور خروج والداي اتصلت بياسر خوفا من أن يتهور و يفعل مالا يحمد عقباه .. وما زاد قلقي أنه لم يجب على اتصالاتي الكثيرة ، أصبح قلقي مضاعفا أتمنى أن لا يفعل ما نندم عليه لاحقا ..

دخلت ميسون والخوف يسيطر على معالم وجهها ..

" أخي ، مالذي حدث لك ؟ " .

قلت :

" لا شيء لا داعي للقلق .. " .

جلست بالقرب مني قائلة بأنها قد شعرت بالخوف الشديد فور سماعها الخبر من قبل والدتي ..

" ميسون ، فلتحضري لي شيئا أتناوله .. أشعر بالجوع يخترق أمعائي .. " .

دخلت والدتي قائلة :

" انتظر لدقائق سينضج العشاء .. نتناول جميعنا .. " .

قلت :

" حسنا ، كما ترغبين .. " .

بعد دقائق نضجت وجبة العشاء فاجتمعنا حول الطاولة جميعنا ماعدا جاد الذي كان في الإقامة الجامعية ...

" إنه لذيد ، سلمت يداك أم إياد .. " .

ردت والدتي مبتسمة :

" لقد ساعدتني ميسون في إعداده .. " .

أتناول وجبتي و أفكر في ياسر ، فالغضب الذي سيطر عليه كفيل بجعله يقدم على أمور غير متوقعة ..

فرغنا من تناول الطعام فذهبت ميسون إلى المطبخ لغسل الأواني المتراكمة .. أما نحن فقد جمعنا حديث طويل للغاية .. كان والدي منزعجا مما حدث لي صباحا لهذا فهو يركز على ذلك الموضوع كثيرا ...

" ترى من فعل هذا يا إياد ؟ هل تخاصمت مع شخص ما ؟".

قلت :

" لم أتخاصم مع أي مخلوق ، لا أدري من فعل هذا .." .

ردت والدتي بقلق شديد الوضوح :

" ألا تظن أن السيد عمر من أقدم على هذا ؟ " .

نظر والدي إليها مضيفا :

" كيف لم أفكر به ، لا شك من أنه قد فعلها .. هو لا ريب في هذا .. " .

نهض والدي بغضب قائلا :

" والله سوف أجعله يندم لأنه تجرأ على الاقتراب من ولدي .. " .

قلت :

" لا أظن بأنه هو يا أبي ، فلتجلس لطفا .. " .

شعرت بأن حرارة العالم أجمع قد اجتمعت في وجه والدي فأصبح أحمرا شبه الطماطم ..

" ومن غيره يكون أخبرني ! ألا تظن بأنه قد نفذ تهديده لك ؟ " .

ردت والدتي :

" لقد تمادى كثيرا .. لن نسكت على فعلته .. ".

_" سوف أذهب إليه الآن ، لن أسكت على فعلته هذه .. لا تحاول منعي يا إياد .. إن لم نضع له حدا الآن فإنه سيتمادى أكثر ..." .

خرج والدي من البيت والغضب يجري في عروقه كالدماء ،حاولت الوقوف و الخروج أيضا لكنني لم أستطع فكل مكان في جسمي يؤلمني بشدة .. وكما أن والدتي قد منعتني وهي تقول بأن والدي سيتولى أمره ..

" أتقولين يتولى أمره ؟ إن كان من فعل هذا فإنه سيسبب الأذى لوالدي أيضا .. ماكان عليكِ إخباره بذلك يا أمي سوف تحدث مشكلة كبيرة الآن .. " .

قالت :

" سوف يتكلم معه لا غير ، وهل تظن بأننا سنسكت على فعلته هذه ؟ " .

قلت بتوتر :

" سوف أتصل به عسى أن يتراجع .. " .

ردت :

" هاتفه هنا يا إياد .. لم يأخذه معه .. ".

_" عظيم .. هذا ما كان ينقصنا .. ". .

سوف تندلع الحرب بين العائلتين بكل تأكيد ، بداية ياسر والآن والدي .. صبرا ياإياد .. صبرا ..

لم يعد والدي وياسر لم يجب على اتصالاتي إلا بعد مرور فترة ..

" ياسر ، أين كنت يارجل .. ألم ترى اتصالاتي أم ماذا ؟ " .

قال :

" الآن فقط ارتحت .. " .

تفاقم توتري ، مالذي فعله ياسر ..

" مالذي فعلته ؟ أخبرني .. " .

_" الذي كان يجب فعله منذ زمن .. " .

قلت :

" ماذا ؟ " .

_" لقد ذهبت إلى السيد عمر ومن ثم إلى مريم .. " .

أجبت بذهول :

" ماذا ؟ مالذي تقوله يا ياسر؟ قل أنك تمزح .. " ..

رد مؤكدا لكلامه :

" والله هذا ماحدث ، هل تظن بأنني سأبقى مكتوفا الأيدي حتى يقدم على قتلك .. لا تنسى بأنك مثل أخي بل أفضل لهذا لا تعترض على قراراتي .. " .

_" مالذي قلته له ؟ ومريم ما دخلها في الموضوع ؟ لماذا ذهبت إليها ؟ أخبرني .. "

قال :

" أخبرتها بفعلة والدها غير الأخلاقية حتى تبتعد عنك للأبد .. " .

تذكرت حينها والدي ، أنا الآن بين نارين لهذا فقد طلبت من ياسر أن يذهب إلى بيت السيد عمر ويعيد والدي إلى المنزل وهذا ما حدث بالفعل فبعد مرور نصف ساعة أو أكثر عاد والدي رفقة ياسر .. .

دخلا إلى غرفة المعيشة حيث أستلقي فوق الأريكة ..

_" وأخيرا عدتما .. مالذي فعلته يا أبي ؟ أرجو أن لا تكون قد بالغت في الأمر .." .

رد بنفاذ صبر :

" مبالغة ؟ "

قلت :

" نعم ، فنحن لسنا متأكدين من الموضوع ، ماذا لو لم يكن المسؤول عن ما حدث لي ؟ ".

أجاب ياسر بسخرية :

" الرجل اعترف بنفسه وهو يقول ماذا لو لم يكن المسؤول .. يا رجل ، لقد أخبرنا بأنه من فعلها ولو لم تبتعد للأبد عن ابنته فإنه سيقضي على حياتك .." . رد والدي :

" يالهذا المتعجرف .. يظن بأنه الوحيد الذي يجيد التهديد و الضرب .. " ..

دخلت والدتي و ميسون إلى غرفة المعيشة أيضا ..

" مالذي حدث يا فريد ؟ " .

أجابها والدي قائلا :

" هو من فعلها ... اعترف بلسانه أنه من فعلها .. إنه يثير غضبي .. " .

رد ياسر :

" لا تقلق يا عم ، أنا موجود ولن يحدث مكروه لإياد .. " .

قلت :

" أنا شخص بالغ و أستطيع الاهتمام بنفسي جيدا لهذا لا داعي للقلق .. ".

أجاب ولدي :

" لو كنت تجيد الاهتمام بنفسك لما وصلت إلى هذه الحالة .. ".

ردت والدتي :

" لا أريدك أن تذكر اسم تلك الفتاة مجددا .. لا يأتي من ورائها سوى المصائب .. " .

الآن فحسب ، أدركت تماما بأن كل الأبواب قد أغلقت في وجهي .. أدركت بأن القدر لن يجمعنا مطلقا .. فهذه المشاكل كفيلة بخلق حاجز من فولاذ بيننا ..

في بادىء الأمر كان الرفض من طرف والد مريم أما الآن فقد أصبحت عائلتي و صديقي المقرب ضد هذه العلاقة التي انتهت بارتباط مريم ولكن الأمل الذي كان يحلق في الأفق قد اختفى كليا .. بصيص الأمل المتمثل في إيقاف حفل زفاف مريم والارتباط بها قد تلاشى بعد انقلاب الموازين ..

بعد الانتظار الطويل عاد والدي إلى المنزل أخيرا .. خرجت من غرفتي مباشرة لأعاتبه على ما فعل ولكن شخصا آخر قد سبقي !

إذ بي أسمع صراخ رجل ما بالخارج ينادي باسم والدي ...

نزل والدي مسرعا للغاية ، خرجت كل من رشا ورزان من غرفتهما .. لتتبعهما والدتي التي قالت :

" مالأمر ؟ من الذي يصرخ هكذا ..؟ " .

قلت :

" لست أدري .. " .

توجهت صوب النافذة لأرى من الرجل إذ بي أتفاجأ بوالد إياد ..

التفت صوب رزان قائلة :

" والد إياد ... " .

صرخت والدتي مضيفة :

" والد إياد ؟ مالذي يريده ؟ " .

اقتربت رشا لترى عن كثب :

" فعلا ، والد إياد .. ترى مالذي يريده في هذا الوقت .." .

صراخ قوي في الخارج .. لم أستطع سماع الحوار الذي يدور بينهما ، بعد مضي الوقت أقبل ياسر و أخذ والد إياد معه أما أبي فقد عاد إلى المنزل والغضب يتطاير من عينيه ...

فور دخوله توجهنا إليه جميعنا ..

" مالذي يريده السيد فريد ؟ " .

أجاب والدي :

" الغبي .. أتى ليهددني .. أنا السيد عمر يقوم بتهديدي بائع الخضر .. " .

ردت رشا :

" مالذي يدفعه لتهديدك يا أبي ؟ " .

قال بدم بارد :

" لقد قمت بتلقين ابنه درسا لن ينساه ولكن النعامة أرسل والده وصديقه لتخويفي .. " .

قلت :

"وهل تعتبر الضرب المبرح درسا يا أبي ؟ ألا تعتقد بأنك تماديت قليلا ؟ " .

_" من الذي أخبرك بالقصة ؟ ألا تزالين تكلمينه يا فتاة ؟ " .

قلت :

" كلا .. ليس هذا موضوعنا يا أبي ، لقد أخطأت ويجب أن تصحح خطأك .. " .

اقترب مني ماسكا يدي بأقصى قوة :

" هو من أخبرك بهذا أليس صحيح ؟ إن لم أحطم حياته لن يكون اسمي عمر .. " .

نفيت كلامه قائلة بأنني لم أكلم إياد مطلقا ولكنه لم يصدقني مطلقا ..

" ياسر .. ياسر من أخبرني يا أبي .. لا علاقة لإياد بالأمر .. ".

_" لا علاقة له إذن .. سوف نرى .. " .

أضاف قائلا :

" ذلك النعامة يظن بأنه يلعب مع صديقه ، أنا أمقته ولا أطيقه .. سوف أجعله يرى ما عاقبة التورط معي ... و أنتِ اهتمي بحفل زفافكِ فحسب ... " .

ردت والدتي :

"ابنتي مهتمة بشؤونها ، ابنه من لا يرغب في تركها .. " .

قلت :

" كلا ، إياد لا يقترب مني مطلقا خاصة بعد ارتباطي .. أرجوك يا أبي لا تلحق به ضررا .. " . .

_" هذه المرة عظامه التي كسرت فحسب أما إذا اقترب مجددا فصدقي أنني لن أتراجع قبل تحطيم كل حياته .. " ..

قلت بانفعال شديد :

"لن يقترب .. سأتزوج بعد عشرة أيام .. سينتهي كل شيء .. " ..

تسللت الدموع فجأة لهذا فقد ركضت بسرعة نحو غرفتي .. اختبأت تحت اللحاف و أخذت أبكي و أبكي .. أخرج الهموم التي

تثاقلت داخل صدري ، صار هذا الزواج حقيقة يجب أن أصدقها و أتقبلها رغم مرارتها .. لو لم يكن الانتحار حراما لشربت جرعة من السم ووضعت حدا لحياتي .

فكل ما حولي يدعوني للبكاء طوال عمري ولكنني فعلت ما باستطاعتي لإنهاء هذه العلاقة التي تخنقني غير أن النقطة تأبى أن تختمها .

بعد المشكلة التي افتعلها والدي فقدت الأمل كليا وكأي عروس وجب علي تحضير نفسي لحفل الزفاف .. فقد مر يومان آخران و لم يبق سوى ثمانية أيام حتى أزف إلى بيت أمجد و أدخل القفص الذهبي رفقة شخص لم أرغب به مطلقا .

" مريم ، هيا تنقصنا العديد من الأغراض ، فلتذهبي مع رشا و أحضرا ما يلزم .. " .

قلت بحسرة :

" لا رغبة لي بالذهاب إلى أي مكان .. فلتذهب رزان معها .. " .

تأفأفت رشا قائلة :

" وكأنه ليس حفل زفافك ، لا يجب أن ينقص أي غرض وإلا فإن والدي سيوبخني أنا بالذات .. " .

ردت رزان :

" فلترسلي الخادمة لتقتني ما يلزم .. " .

قالت :

" كلا ، يجب أن أشرف على اختيارها بنفسي .. هيا رزان فلنذهب بسرعة .. " .

ردت والدتي :

" دعاها تفعل ما تريد ، آخر أيامها معنا فلتكن سعيدة .. " .

_" أين السعادة يا أمي ؟ أنا لا أرغب في هذا الزواج ألا تفهمين .. " .

في هذه الأثناء دخل والدي منزعجا للغاية ، صعد إلى مكتبه بسرعة الضوء .. ثم عاود الخروج حاملا بين يديه حقيبة سوداء ..

" ترى مابه والدي ؟ لا يبدو بخير .. " .

قلت :

" لست أدري ولا يهمني .. " .

ردت رزان :

" فلنذهب يا رشا ، أبي مزاجه معكر لا أريد أن يفرغ كل غضبه في وجهي ... " .

خرجت رزان ورشا لأبقى رفقة والدتي ..

" عمل كثير ينتظرنا .. يلزمنا خدم أكثر ، يجب أن يكون أفضل عرس في منطقتنا .. " .

أجبت :

" لا يهم .. أتمنى أن ينتهي كل شيء .. " .

قالت :

" بل سيبدأ الآن يا مريم ، فلتبتسمي قليلا يا ابنتي إنه حفل زفافك .. ستتزوجين مرة واحدة في حياتك . "

في المساء عاد والدي بوجه شاحب ، دخل إلى غرفته مباشرة و أغلق الباب بإحكام .. حاولت والدتي الدخول ولكنها وجدت الباب مغلقا .. أخذت تنادي باسمه ولكنه لم يجب ..

التفتت للخلف وقالت بعدما رأتني أنظر في حيرة :

" لا شك من أنه إياد ، أظن بأنه قد ارتكب حماقة جديدة .. " .

قلت :

" وما دخله ؟ " .

ردت بانفعال :

" ألا ترين حال والدك ، بدأت أشعر بالخوف عليه .. " .

" عمر ، عمر .. افتح الباب أرجوك .. " .

بعدما تفاقم الخوف بيننا للحظات خرج والدي شاحب اللون .. وقف مكانه كالصخرة الصماء ..

" عمر ، مالذي حدث معك ؟ " .

رد بصعوبة :

" لقد قُتل أمجد .. " .

كانت تلك الكلمات ثقيلة جدا ، لم أستطع هضمها مطلقا .. سقطت والدتي أرضا فور سماعها أما أنا فقد اقتربت من والدي أكثر ، كانت الصدمة قوية للغاية ...

" كيف ؟ هل قلت أنه قُتل ؟ " .

قال :

" نعم . "

قلت بقلق :

" متى وكيف ؟ " .

رد :

" اليوم .. " .

ثم أضاف قائلا :

" لقد قتله إياد .. " .

بقي ثمانية أيام بالضبط على حفل زفاف مريم ، كنت عالقا بين الحقيقة و الخيال ، بين التصديق و التكذيب ، استطعت رؤية أمجد بدافع الفضول الذي سيطر على كل حواسي ..

في السوق بينما أنا مع ياسر في السوق ، جاءني اتصال من رقم مجهول لم أجب في بادىء الأمر ولكن اتصالاته المتكررة دفعتني للتكلم ..

" مرحبا، من معي ؟ " .

انقطع الاتصال فجأة .. قلت :

" يلح على الاتصال ومن ثم يغلق الخط في وجهي .. " .

رد ياسر :

" لا تجب عليه مجددا ، هؤلاء الأشخاص بالضبط لديهم فراغ كبير في حياتهم يحاولون القضاء عليه عن طريق التلاعب بالناس ... " .

قلت مؤيدا :

" معك حق .. " .

أكملنا العمل مبكرا لهذا فقد قررت العودة إلى المنزل طلبا للراحة فجسمي لا يزال التعب يتخلله .. صعدت إلى سيارتي التي كانت مركونة على مقربة منا وانطلقت بسرعة ..

صوت سيارة الشرطة يقترب مني ، نظرت من خلال المرآة للخلف إذ بي أرى رجل الشرطة يأمرني بالتوقف .. لم أفهم مالذي يحدث بالضبط ، ركنت السيارة بسرعة ونزلت منها ..

" أنت إياد منصوري ؟ " .

قلت :

" نعم .. مالأمر ؟ " .

_"لدينا أمر بتفتيش سيارتك .. " .

أجبت بتوتر :

" تفتيش ؟ لماذا ؟ " .

أخذ رجال الشرطة يفتشون السيارة والأمر الصاعق الذي جرى أنهم وجدوا جثة رجل ما داخلها !!

" الجثة هنا سيدي .. " .

رد :

" ألقوا القبض عليه بسرعة .. " .

لم أستطع تصديق ما يحدث للتو ،حبات العرق تراكمت على جبيني و أخذت تنزل قطرة قطرة ..

" جثة في سيارتي !! " .

اقتربت أكثر لرؤية الجثة التي يتكلمون عنها .. يالله فعلا إنها جثة ..

ولكن لحظة ! أليس هذا نفسه أمجد ؟

صعقت من هول ما رأيت ، جثة أمجد موجودة في سيارتي ..

" صدقني ، لست أنا من قتله .. لا أدري كيف وصلت الجثة إلى سيارتي .. " .

قال :

" كل المجرمين يقولون هذا .. ألقوا القبض عليه بسرعة .. " .

_" صدقني لم أقتله .. أنا لا أقوم بإيذاء نملة حتى ، كيف يمكنني قتل إنسان .. أرجوك صدقني ... لست أنا من قتله ... لست أنا .." .

" تقول ما عندك في مركز الشرطة .. " .

في مركز الشرطة جاء السيد عمر الذي بدأ الصراخ فور دخوله ...

" إنه مجرم ، قتل أمجد ... " .

قلت :

" صدقني ، لم أقتله .. لم أقتله .. " .

_" لقد قتلته كي تحصل على ابنتي .. سوف أجعلك تتعفن في السجن ... لن تنجو بفعلتك .. " .

كنت لا أزال تحت تأثير الصدمة قلت :

" ولكنني لم أقتله ، لماذا أقتله ؟ أنا لست مجرما .. لست مجرما .. " .

" ومالذي أتى بجثته لسيارتك ؟ أنت مجرم ويجب أن تعاقب .. " .

طلبت من رئيس المركز أن يسمح لي بإجراء اتصال هاتفي أخبر والدي بما جرى ..

" أرجوك ، اتصال واحد فقط .. " .

قمت بالاتصال بوالدي ، أخبرته بكل ما حدث معي ..

" يا أبي والله لا أدري كيف وصلت الجثة إلى سيارتي ، تعال بسرعة رجاءاً فأنا متوتر للغاية ... " ..

_" سآتي فورا بني ، لا تقلق .. سنخرج من هذه الورطة بإذن الله .. " .

قلت :

"بإذن الله .. أرجوك لا تتأخر .." .

بقي السيد عمر فوق رأسي يعاتبني على جريمة لم أرتكبها أما أنا فقد كنت منهارا..

" يالهذا المجرم .. لقد قتله لأنه كان سيتزوج من ابنتي التي يحبها .. الجميع يعرف هذا ..." .

رد ضابط الشرطة :

" سوف تأخذ العدالة مجراها .. لن ينجو بفعلته ، هؤلاء المجرمين جعلوا العالم قذرا .. " .

بعد مضي الوقت دخل والدي فعادت الروح مجددا ..

" أبي .. أبي .. لقد وجدوا جثة في سيارتي .. يقولون أنني مجرم يا أبي .. " .

قال :

" ربما سوء فهم .. ابني ليس قاتلا .. " .

لو قال أحد لي أنني سأدخل السجن فإني سوف أعاديه حتما .. دخولي السجن بسبب جريمة لم أرتكبها أكبر ظلم قد أتعرض له في حياتي كلها ..

قام والدي بتوكيل محام ليخرجني من المأزق الذي وقعت فيه ولكن دون فائدة فكل الأدلة ضدي وقد شهدت والدة مريم وشقيقتها رشا ضدي أيضا لأضمن مكانا لي بين المجرمين داخل السجن .. فنفوذ السيد عمر قد يجعلني أفارق الحرية للأبد !

أتى ياسر لزيارتي كالعادة ..

" هل أنت بخير ؟ " .

قلت :

" وهل سأكون بخير وأنا خلف القضبان يا ياسر .. " .

رد بأسى :

" والله هذا صنع السيد عمر .. هو من قتله أنا متأكد من هذا " .

قلت :

" كيف ؟ " .

_" ومن سيكون القاتل ، أظن أن الإشاعات صحيحة يا إياد .. قتله و جعلك ترتدي زي المجرم .. " .

قلت :

" كن منطقيا ، مالذي يدفعه لقتل رجل اختاره بنفسه لابنته " ..

_" لا تقلق ، سوف أخرجك في أقرب وقت يا صديقي .. " .

قلت :

" بحول الله .. أخشى أن يطول مكوثي هنا .." .

في كل مرة أقول بأنني سأخرج من هذا المكان المقرف أبقى فترة أخرى .. فمرت الأيام وأنا على تلك الحال ، تعرفت على شاب يدعى حذيفة ، نقضي معظم الوقت معا ، كان سبب دخوله السجن تورطه في محاولة قتل رجل ما ..

" لم تخبرني ، لماذا ورطت نفسك معهم .. مالذي يدفعك للقتل يارجل ؟ " .

قال :

" كنت بحاجة ماسة للمال من أجل إجراء عملية جراحية لوالدتي .. فأوصلني صديق لي لرجل قذر يعمل عنده أعمالا غير قانونية .. لم يكن لدي حل آخر فكل همي علاج أمي لهذا لم أفكر في عاقبة ذلك العمل القذر .. " .

قلت :

" وهل تعرف ذلك الرجل .. لماذا لم تبلغ عنه للشرطة عسى أن تخرج من هذا الجحيم ... " .

ابتسم بيأس مضيفا :

" وهل تظن أنني أستطيع الإيقاع بالسيد عمر ، يده طويلة ولديه جواسيس في كل مكان لو تجرأت على ذكر اسمه فإنه سيقتل جميع أفراد عائلتي .. " .

هل قال لتوه " السيد عمر " ؟ كلا ، كلا .. ليس من الممكن أن يكون والد مريم متورطا في تلك الأعمال الشنيعة ..

قلت بصوت خافت :

" هل قلت السيد عمر ؟ " .

قال مؤكدا :

" أنا أخبرك بهذا لأنك قد كسبت ثقتي لهذا أرجو أن يبقى الأمر سرا بيننا و إلا فإنني سأهلك لا شك في هذا .. " .

قلت :

" والله سرك في أمان .. " .

أضاف :

" أجل ، إنه عمر قاسم .. أتظن بأن ذلك الثراء الذي ينعم فيه حلالا ؟ كل ركن في ذلك البيت الفسيح ملطخ بدماء العديد من الأبرياء الذين تاجر بأعضائهم .. " .

لقد قال عمر قاسم ، إنه والد مريم .. ماهذا ، ليس من الممكن أن يكون حقيرا لهذه الدرجة .. نهضت من مكاني غير مصدقا لما سمعته أذناي ..

تبعني حذيفة قائلا :

" مالأمر ؟ هل تعرفه ؟ " .

أمسكت رأسي بيدي غير مصدق لما سمعته ، قلت :

" أجل أعرفه .. أعرفه .." .

تذكرت حينها كلام ياسر ، لا شك من أنه من فعلها حتما ولكن لماذا؟ مالذي يجعله يقتل رجلا وافق عليه بنفسه ؟ وراء الأمر سر خطير يجب اكتشافه .

قال :

" من أين تعرفه ؟ لا تقل بأنك هنا بسببه ..هل أوكل إليك مهمة قذرة مثله .. " .

قلت :

" كلا ، ولكنني أظن أنه من ورطني وجعلني أودع الحرية .. " .

_" كيف هذا يا إياد ؟ هل بينكما عداوة ؟ " .

قلت :

" القصة طويلة يا حذيفة سأرويها لك فيما بعد .. " .

كان حذيفة لحوحا للغاية لهذا فقد أجبرني على سرد له كل القصة التي تفاجأ منها للغاية ..

" يالقذارته .. يجب أن ننتقم منه .. يجب ذلك فعلا ..." .

قلت :

" لا أستطيع الانتقام منه فكما تعلم مريم ابنته ولا أرغب في جعلها تخجل من أعمال والدها .. " .

_" وهل نتركه يستمر في أعماله من أجل حبك لها ؟ لا تجعل العاطفة تتحكم فيك يا رجل .. هدفنا مشترك فلنجعل حياته

جحيما .. فور خروجي من السجن سأجعله يتمنى الموت ألف مرة ، سوف أريه من هو حذيفة ... " ..

كانت الحقيقة بشعة للغاية ولكنني تقبلتها بسرعة عكس ما كنت أتوقعه ، فالانتقام أصبح هدفي الأول و الأخير ..

مالذي أسمعه ؟ إياد مجرم !! كلا .. كلا .. لا يمكن أن يكون قاتلا .. لا يمكن ..

صرخت قائلة :

" يستحيل يا أبي .. إياد لا يقتل حيوانا فكيف يمكنه قتل إنسان يا أبي .. ربما هنالك خطأ ما .. " .

قال :

" لا يوجد أي خطأ لقد وجدوا الجثة في سيارته .. " .

ردت والدتي :

" لقد ظهر الوحش الذي فيه يا عمر .. إنه وحش بشري .. كيف باستطاعته قتله .. كيف .." .

قلت غير مصدقة :

" أين إياد الآن ؟ " .

_" لقد اعتقلته الشرطة .. سوف يزج في السجن لسنوات هذا إن لم يبق هناك مدى الحياة .." .

سقطت جاثية على الأرض غير مصدقة للكلام الذي سمعته ..

" أتمنى أن لا يخرج من السجن مطلقا ..إنه وحش ولا يستحق العيش مع البشر .. " .

قلت :

" ليس إياد مع فعلها .. ليس إياد .. " .

عادت رزان ورشا ولكنهما شعرتا بحدوث أمر غريب لهذا فقد قالت رشا :

" مالأمر .. لماذا تبكين يا مريم ؟ أمي مالخطب ؟ " .

ردت والدتي بفزع :

" لقد مات أمجد .. قتله ذلك الوحش يا ابنتي .. " .

صرخت رزان بذهول :

" ماذا ؟ هل قُتل ؟ " .

قالت :

" نعم ، فلتسأليني عن المجرم الذي قتله .." .

ردت رشا :

" من ؟ " .

_" إنه إياد .. لقد تخلص منه يالقذارته .. " .

ردت رشا والصدمة قد جعلت من لون وجهها أصفرا :

" أتقولين أن إياد من قتله ؟ أيمكن هذا ؟ " .

أكد والدي ذلك قائلا :

" نعم ، كانت الجثة في سيارته .." .

أردفت رزان :

" لم أتوقع أن يكون سيئا لهذه الدرجة .. " .

نظرت إلي مضيفة :

" إياد مجرم يا مريم .. إنه قاتل .." .

أخذت أحرك رأسي سلبا نافية لكلامها والدموع تنزل من عيني غزيرة ..

أضاف والدي :

" لقد انتهى حفل الزفاف ... سأذهب لحضور الجنازة .. وأنتن كذلك فلتذهبن للتعزية .. " .

ردت والدتي بحزن :

" من الفرح إلى الموت ، كم هذه الدنيا قصيرة .. أسأل الله أن يمنح والديه وعائلته الصبر .. " .

أصبح إياد في نظر الجميع مجرما أما أنا فلم أصدق ذلك مطلقا رغم تراكم الأدلة التي تبين أنه القاتل .. حرص والدي على تسليط أشد العقوبات عليه سيطيل من فترة حبسه ، فهو مقتنع بأن إياد المجرم الذي حرم ابنته من زوجها ...

صحيح أنني لم أكن أرغب بأمجد زوجا لي و لكنني لم أرغب في موته مطلقا .. فموته هذا قد سبب لي انهيارا نفسيا خاصة بعد اعتقال إياد و زجه في السجن بتهمة قتله ..

مرت الأيام و إياد لا يزال في السجن ، وددت في الذهاب إليه لرؤيته ولكن والدي يقف بيني وبين رغبتي فهو يراقبني حاليا ..

باتت حالتي النفسية لا تبشر بالخير مطلقا ، أرى كوابيس عديدة فأستيقظ وأخرج من غرفتي مباشرة متجهة صوب غرفة والداي ...

أكملت حياتي بشكل غير طبيعي بعد الصدمة القوية التي تلقيتها ، أذهب للعمل دون أي رغبة فقد تغيرت كثيرا .. تتسلل الدموع بين الفينة و الأخرى فور تذكري لإياد .

مر شهر كامل و هو داخل السجن المظلم ، نجحت في الذهاب لزيارته بمساعدة من رزان .. رأيته يقترب مني بوجه عابس للغاية .. " إياد ، هل أنت بخير ؟ " .

جلس فوق الكرسي قائلا :

" وهل تظنين بأن السجن جنة حتى أكون بخير .. ".

ثم أضاف ببرود :

" ستأتي عائلتي الآن ، لا أرغب في أن يراك أي أحد منهم .. فلتذهبي رجاءاً .." .

قلت :

" ولكنني أريد التحدث معك قليلا .. أنا لا أصدق بأنك قاتل يا إياد ، أدرك تماما بأنك بريء من هذه التهمة .. " .

_" لا أريد التحدث في الموضوع ، انصرفي رجاءاً .." .

قلت :

" إياد ، أرجوك لا تفعل هذا بي .. أنا سوف أنتظرك مهما بلغت عقوبتك ..." .

نهض من مكانه ثم صرخ قائلا :

" قلت فلتغربي عن وجهي .. لا أرغب في رؤيتك مطلقا .. واعتبري أن حبنا قد انتهى . "

اغرورقت الدموع في عيني ، لأول مرة يصرخ إياد في وجهي ، لأول مرة يعاملني بهذا البرود ..

انصرفت مباشرة وعدت أدراجي .. كانت رزان تنتظرني في الخارج ، صعدت إلى السيارة مباشرة بخاطر مكسور ..

" مالأمر ، لم تتأخري كثيرا .. ".

قلت :

" فلنذهب بسرعة أرجوكِ .. " .

_" مالذي حدث مجددا ، أخبريني .. " .

قلت بانكسار :

" لقد طردني يا رزان ، و أنا التي ظننت أنه سيفرح لرؤيتي .. " .

_" صراحة ردة فعل متوقعة ، لا تنسي بأنه في السجن بسبب حبه لك .. " .

قلت :

" وما ذنبي أنا ، أنا أحبه بشدة يا رزان ومستعدة لانتظاره طوال عمري ولكنه طردني بسهولة .. " .

_ " لا بأس ، على كل أنا لا أصدق بأنه من قتله .. لا بد من أن شخصا ما قد استغل حبه لكِ و ألصق التهمة فيه .. " .

رزان محقة ، هنالك من ورط إياد في عمله القذر ولابد من معرفة المجرم الحقيقي ..

أظن بأن الوقت قد حان لأتكلم قليلا .. أنا رزان شقيقة مريم ، الأحداث الغريبة التي مررنا بها لم أستطع تصديقها مطلقا .. فكرة

أن إياد مجرم لا يمكن هضمها مطلقا ، لا أستطيع الإنكار بأنه يحب مريم بشدة ولكنه ليس قاتلا .

في أحد الليالي كان والدي في مكتبه .. قررت الذهاب إليه لأخبره بحالة مريم النفسية و حاجتها الماسة للعلاج النفسي بعد كل ما مرت به .

فور وصولي لباب المكتب سمعت صراخ والدي القوي وهو يقول : " ماهذا أيها الأحمق ، لا يمكنني الاعتماد عليك في شيء بسيط كهذا .. " .

التفت للعودة إلى غرفتي ولكن سماعي للكلام التالي قد شدني : " هل أنت غبي لهذه الدرجة .. لابد من أن صاحب المحل لديه التسجيل الذي يوقعنا في الحفرة التي حفرناها لإياد .. ".

_" لا ، إياك والخروج من مكانه .. أنا أدبر أمري .. ذكرني أين المحل .. أليس المحل الذي يبيع الحلويات في المكان الخالي من السكان ؟ .. أجل ، أجل ، المحل القديم .." .

_" سأذهب إليه غدا .. إياك والتصرف بحماقة ، يجب أن يبقى إياد في السجن للأبد .. واسمعني جيدا إن أمسكت بك الشرطة إياك أن تذكر اسمي لأنني سأحول حياتك لجحيم ، إن سمع أحد بأنني من قتل أمجد فإني سأقتلك أيضا .. يجب أن نتخلص من الدليل الذي يثبت براءة إياد .. " .

هل هذا يعني أن والدي من تسبب في هذه الجريمة الشنعاء ؟ قدماي لا يقدران على حملي .. والدي مجرم !! .

انسحبت من المكان قبل أن يلحظ وجودي ، من هول ما سمعته دخلت إلى غرفة مريم مباشرة وأنا مذعورة ..

" رزان مابك ؟ " .

جلست فوق الكرسي مباشرة..

" القليل من الماء أرجوكِ .. " ..

ردت :

" مالذي حدث ، أخبريني .. " .

ترددت في بادىء الأمر ولكن لابد من أن تعرف الحقيقية .. حقيقة والدي وحقيقة الجريمة التي قام بها .

" اسمعيني جيدا يا مريم .. يجب أن نتصرف بسرعة قبل فوات الأوان .. " .

_" مالذي تتحدثين عنه يا رزان ، هل حدث أمر ما ؟ " .

قلت بتوتر :

" الآن فقط سمعت والدي وهو يتحدث عبر الهاتف .. لقد سمعته يقول بأن الدليل الوحيد الذي يثبت براءة إياد موجود في محل الحلويات القديم .. ".

كان الذهول واضحا على وجه مريم ولكنني رأيت أن الوقت لا يكفي لاستوعاب ما يحدث فوالدي قد قال أنه سيذهب للمحل غدا .. ذهاب والدي إلى هناك يعني اختفاء الدليل الوحيد الذي ينقذ إياد مما هو فيه .

شرحت لمريم كل شيء حتى نستطيع من التحرك بسرعة ..

" لا أصدق ، كيف باستطاعة والدي فعل هذا .. " .

قلت بألم :

" من أجل إبعاد إياد عن حياتك فعل كل هذا .. لقد أصبح مجرما يا مريم .. " .

_ " لا أظن أن هذا السبب لارتكابه جريمة قتل .. مالذي نفعله الآن ؟ لا أريد أن يُعاقَب إياد على ذنب لم يرتكبه .. " .

قلت :

" نذهب صباحا قبل والدي للمحل ونحضر التسجيل الذي تكلم عنه ولكن يجب أن نضمن بقاء والدي بعيدا عن المكان ريثما نكمل عملنا .. " .

قالت بثقة :

" اتركي أمره لي .. سوف أقوم بإلهاءه قليلا ريثما تحضرين التسجيل المطلوب .. " .

بعدما اتفقت مع مريم عدت إلى غرفتي مجددا ، لم أكن أريد أن يزج والدي في السجن رغم ما قام به وحسب ما سمعت فإنه لن يظهر في تسجيلات الكاميرا مطلقا بل شخص آخر لهذا فأنا مطمئنة نوعا ما ..

حاولت النوم بعد ما جرى ولكن التفكير المتواصل قد منعني من ذلك .. بعد مضي الوقت استطعت النوم أخيرا لأستيقظ على صوت المنبه للبدء بالمهمة ..

وأنا على وشك الخروج من البيت رأيت والدي وهو ينزل بسرعة .. لولا تدخل مريم في الدقيقة الأخيرة لفشلت كل الخطة ..

" مريم ، ابنتي مابك .. " .

" عائشة .. عائشة .. تعالي بسرعة .. لقد أغمي على مريم .." .

كنت أدرك تماما بأن كل ذلك تمثيل من مريم لكسب الوقت لهذا فقد انتهزت الفرصة و ذهبت بسرعة للمحل حيث أحضرت التسجيل الذي ينقذ إياد ..

" أرجوك ، سيأتي شخص آخر غيري إلى هنا لهذا من الأفضل أن تحذف التسجيل الذي عندك الآن .. وإلا فإنك ستتورط في المشاكل .. " .

اتصلت بمريم بعدما خرجت من المحل مباشرة لأخبرها بنجاح المهمة و أن إياد سيخرج من السجن قريبا .

بعد خروج مريم شعرت بتأنيب الضمير ، الفتاة أتت لرؤيتي وأنا بكل برود طردتها وكأنني لا أحبها .. كيف استطعت أن أكون قاسيا هكذا .. كيف ..

جاءت عائلتي لزيارتي أيضا وياسر الذي أخبرته بقدوم مريم ..

" لقد أتت مريم و طردتها .." .

رد بذهول :

" أنت تمزح أليس كذلك ؟ " .

قلت :

" كلا ، لست أمزح .. لقد طردتها بالفعل ".

_" مسكينة ، إنها ضحية أعمال والدها .. ".

قلت :

" والله لا أدري مالذي حدث معي ولكنني غضبت فور رؤيتي لها .. ألست هنا بسببها ؟ " .

_" دعنا منها .. كيف حالك ؟ ".

قلت بيأس :

" كما تراني يا صديقي .. هل من جديد ؟ " ..

قلت :

" كلا .. ليس هنالك أي جديد ولكنني سأسعى جاهدا لكشف الحقيقة ... لا تقلق ..." ..

بعد مرور أسبوع آخر أُطلق سراحي .. لم أستوعب مالذي حدث بالضبط ولكنهم أخبروني بأن أدلة جديدة قد أصبحت بين أيديهم اكتشفوا من خلالها المجرم الحقيقي فألقوا القبض عليه واعترف بأنه من قتل أمجد ووضعه في سيارتي ..

كان ذلك اليوم بمثابة عيد في منزلنا فقد عدت إلى عائلتي بعد ما يقارب شهرين في السجن .. حضرت والدتي أشهى الأطباق احتفالا بعودتي ، كانت فرحتي عارمة فقد عدت إلى أحبتي وثبتت براءتي فلم أعد مجرما في نظر سكان حينا .. أخيرا أنا في المنزل ...

" اسمع فريد ، لا تنسى الأغراض .. ".

أجاب والدي :

" لن أنسى ، لا تقلقي .. " .

دخلت ميسون مسرعة ويبدو الشحوب مسيطرا على وجهها :

" إياد .. إياد .. " .

أجبت :

" نعم ، مالأمر ؟ " .

_" مريم و شقيقتها رزان في الخارج .. " .

ردت والدتي بغضب :

" مالذي تريدانه ؟ لا أريد أن تكون لنا أي صلة بهم .. " ..

أجاب جاد :

" والفتاتان ما علاقتهما بما حدث مع أخي .. ؟ " .

ردت والدتي :

"بسبب مريم تحمل ولدي البريء مسؤولية جريمة لا علاقة له بها .. بسبب حبه لها .. لا أريد أن أراها مجددا ".

أمسكت يد والدتي مضيفا :

" لا تقلقي .. أتكلم معهما و أعود ، لن أتأخر .. " .

خرجت لأرى مالذي تريدانه ..

" خيرا ، مالذي تريدانه .. هل ترغبان في افتعال مشكلة أخرى ؟ ".

في تلك الأثناء وصل صديقي ياسر ..

" مالأمر يا إياد ؟ " .

قلت :

" لا أدري مالذي تريدانه بعد .. لقد قضيت فترة في السجن بسبب .. " .

اقتربت رزان مني قائلة :

" أكمل .. بسبب والدنا .. " .

قلت بتوتر :

" لا أريد التحدث في الموضوع .. انصرفا رجاءا .. " .

ردت مريم :

" و لكنني أود التحدث يا إياد .. " .

رد ياسر :

" لا نرغب في أن يراكما والدكما وينتقم من إياد مجددا .. إنه مجنون .. " .

قلت :

" أجل .. مالذي تريدانه .." .

نظرات مريم لي جعلتني أتوتر للغاية .. لم أكن أرغب في معاملتها ببرود ولكن الواقع يحتم علي أن أتغير و أنسى حبي لها ...

ردت مريم :

" أردت الاطمئنان عليك .. طوال هذه الفترة وأنا أفكر فيك ، لقد .. " .

قاطعتها رزان قائلة :

" غير مرغوب بنا يا مريم فلنذهب .. " .

أمسكت مريم من يدها وصعدتا إلى السيارة .. غادرت وقلبي متعلق بها ، كل ما أعرفه عن والدها لن يسمح لي بالاقتراب مجددا ..

" إياد ، ألا ترى أنهما تعرفان شيئا ؟ " .

قلت :

" فاجأتني رزان حين قالت بسبب والدي .. " .

_" هذه العائلة لا يأتي منها سوى المشاكل .. " .

قلت :

" ربما لأن والدها قد فعل ما باستطاعته لبقائي في السجن لمدة طويلة ..." .

_" دعنا منهما .. أشعر بالجوع يا رجل .. " .

ضحكت مضيفا :

" والله أنا كذلك .. ولكن الأمر الذي يشغل تفكيري .. من الذي قدم لي هذه الخدمة الكبيرة ، لو أعرفه فقط يا ياسر أنا ممتن له حقا .. أنا أتنفس هواء الحرية الآن بفضله .. ".

_" سنعرفه بالتأكيد .. " .

أضفت :

" فلنعد إلى البيت .. " .

مرت الأيام و أنا أنعم بالحرية التي افتقدتها لشهرين بالتقريب .. لم أعد أرى مريم مطلقا فقد اختفت وغادرت من حياتي للأبد ، الأمر كان محزنا للغاية ولكن ماباليد حيلة فإذا اقتربت منها هاجمني والدها مرة أخرى وبعد الحقائق الشنيعة التي عرفتها عنه لن أقدر على المخاطرة بنفسي و بعائلتي مجددا ...

بعد أن أوصلنا الدليل الذي يثبت براءة إياد إلى الحكومة خرج أخيرا فطار قلبي من الفرح .. لم نسمح بأن يعرف أننا من أنقذه

ولكن شوقي الكبير له دفعني للذهاب إلى بيته ورؤيته .. كنت أعرف أنه لن يستقبلنا بالورود بعد الذي جرى معه بسببي ولكن قلبي قد قادني إليه دون أن أرفض ذلك .. كان وجودنا غير مرغوب فيه كما قالت رزان لهذا فقد عدنا أدراجنا إلى البيت ..

" إن سمع والدنا أننا من أخرجه فإنه سيقتلنا لا ريب .. " .

قلت مبتسمة :

" المهم أن إياد خارج السجن الآن ، لا يهمني مالذي سيفعله مطلقا ..." .

ردت :

" لا يجب أن يعرف .. و الأفضل أن تنسي إياد للأبد .." .

لقد فهمت أنني أشكل خطرا على حياة إياد لهذا فقد قررت الابتعاد عنه للأبد ، لن أقترب مجددا حتى ولو كان قلبي يرغب في التمسك به طوال العمر ..

" طبعا .. لن أقترب منه على الإطلاق .. لقد انتهى كل شيء اليوم .."

.

أكملت حياتي بعيدة على إياد ، أشعر بأن فراغا رهيبا سيطر على أيامي .. فكرة أن والدي تسبب في قتل إنسان تخنقني بشدة ، لا أستطيع التصديق مطلقا .. لا أستطيع ... أصبحت أتحاشى الحديث معه ، فأنا أراه ملطخا بدماء أمجد .. لو لم يكن والدي لقمت بتسليمه للعدالة حتما .

وافقت أريج على الزواج من فادي بعد تفكير مطول ، أما أنا فقد أبعدت فكرة الارتباط من رأسي .. أصبحت وحيدة تائهة في بحر الخذلان فمرت الأيام والشهور وأنا على تلك الحال .. الثقة قد ألغيتها من حياتي بعد معرفة حقيقة والدي البشعة .

في أحد الليالي بينما نحن على طاولة العشاء ذكر والدي أمجد ..

" لو كان حيا الآن لكانت مريم في بيتها تعيش بسعادة .. " .

ردت والدتي :

" معك حق ، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه .. ".

قال :

" يالذلك الوحش ، استطاع النفاذ بفعلته .. كيف لست أدري.. ".

أجبت بنفاذ صبر :

" ليس هو من قتله ، لا داعي للتظاهر بالبراءة .. " .

رمقتني رزان بنظرة حادة كي أصمت ولكنني ظننت أن الوقت قد حان ليدرك والدي حجم ذنبه الذي لا يغتفر ...

" ألست أنت من قتله يا والدي ؟" .

نهض وضرب الطاولة بكلتا يديه قائلا بصوت صاخب :

" مالذي تقولينه ؟ أعيدي .. أنا قتلت أمجد ؟ " .

قلت بغضب :

" أجل .. أنت من قتله ، كيف يمكنك العيش بسلام داخلي وأنت ملطخ بدماء شخص بريء ؟ " .

اقتربت رزان مني لتجعلني أصمت ولكنها لم تفلح فذلك الحمل الثقيل الذي أحمله فوق أكتافي لهذه المدة قد أتعبني ..

" مالذي تتفوهين به يا ابنتي .. ".

أجبت :

" لا تناديني بابنتي ، أنا لست ابنة قاتل .. فليعلم الجميع حقيقتك .. ".

التفت إلى رشا مضيفة :

" أنتِ امرأة قانون أليس كذلك ؟ والدك يا رشا مجرم .. لقد قتل أمجد يا رشا .. قتله وورط إياد .. " .

صفعتني والدتي بقوة قائلة :

" أهكذا تكلمين والدك أيتها المتعجرفة ؟" .

قلت موجهة سبابتي نحو والدي :

" ليس والدي .. هذا الرجل مجرم ولن أسامحه على الذنب الذي اقترفه .. " .

وقفت رزان إلى جانبي مؤيدة :

" أجل ، أنت مجرم ويجب أن تحاسب على أعمالك الشنيعة .. من يدري كم شخصا قتلت .. ".

ردت رشا بذهول :

" مالذي تتفوهان به ؟ مالذي يحدث هنا ؟ أبي فلتقل شيئا .. " .

كانت الصدمة مسيطرة على والدي فسقط على الأرض غير مصدق لما سمعه ..

ركضت والدتي نحوه قائلة :

" مالذي تقولانه يا عمر ؟ هل أنت من قتل أمجد ؟ " .

لم يتفوه والدي بحرف واحد بل حمل جسده المخذر بالحقيقة التي نعرفها و خرج من البيت ..

أمسكت والدتي بيدي وهي تصرخ :

" هل ربيتكِ هكذا يا مريم ؟ ذلك الرجل الذي خرج الآن والدك .. الحقي به و اعتذري منه بسرعة .. " .

نظرت إلى رزان مضيفة :

" وأنتِ كذلك ، فلتعتذرا منه .. ".

أجبت :

" أعتذر ! هو من عليه أن يعتذر .. لقد قتل أمجد يا أمي .. " .

ردت رزان :

" نعم ، كلام مريم صحيح .. " .

قالت رشا :

" كيف ؟ ".

بعدما روت رزان لهما ما سمعت تلك الليلة صرخت والدتي قائلة :

" عمر .. مالذي فعلته يا عمر .. مالذي فعلته .. "

ردت رشا بانكسار :

" والدي يفعل كل هذا .. لا أستطيع التصديق .. لا أستطيع .." .

بعد فترة سلم والدي نفسه للعدالة معترفا بشتى الجرائم التي قام بها ، كان الندم ظاهرا عليه .. لم تقطع والدتي علاقتها معه رغم

معرفتها الحقيقة البشعة أما أنا و رزان ورشا فقد أخذنا موقفا منه .. أكثر ما يؤلم الفتاة أن يكون والدها مجرما ..

بعد مرور شهر على دخول أبي السجن قررت الذهاب لزيارته فهو والدي ويبقى والدي مهما بلغت جرائمه ..

" مريم ، قولي أنكِ سامحتني ... أرجوكِ يا ابنتي ، أنا أشعر بالندم يقضي على كل قطعة مني ... " .

قلت بحسرة :

" وهل سيسامحك أهل ضحاياك يا أبي ؟ أين كان ضميرك .. أين كانت إنسانيتك ؟؟ " .

قال :

" سامحني الله على ما فعلت .. " .

نظر إلي ثم أضاف قائلاً :

" و إياد ! " .

_" لقد قطعت علاقتي معه منذ مدة ، هل تظن أنني سأقدر على النظر إلى عينيه بعد كل ما فعلته .." .

رد :

" أريد رؤيته ، فلتخبريه بذلك يا مريم .. " .

قلت بفضول :

" لماذا ؟ " .

_" كي أعتذر على ما بدر مني .. عسى أن يسامحني و يعتني بكِ من أجلي .. " .

أجبت بألم :

" يستحيل هذا يا والدي .. لن يسامحك مطلقا .. ".

-" فلتخبريه بهذا .. أنا بانتظاره .. " ..

خرجت من السجن و أنا أفكر في كلام والدي ، كيف لي أن أدخل إلى حياة إياد مجددا بعدما حل به بسببه...

كان الوقت كفيلا بتغيير كل شيء ، سمعت أن السيد عمر قد سلم نفسه للعدالة و اعترف بكل جرائمه الشنيعة التي قام بها ، كنت مع ياسر في المقهى حينها .. كان الأمر غامضا للغاية ، كيف سلم نفسه ذلك الرجل بهذه السهولة ! ..

" لا أصدق بأنه قد سلم نفسه يا ياسر .. " .

قال ببهجة :

" أتمنى أن ينال أقصى العقوبات ، ياله من رجل قذر .. " .

قلت :

" الأمر المحزن في الموضوع عائلته .. كيف سيستطعن تجاوز الأمر ومريم .. " .

_" لا تزال تفكر فيها ، دعك منها مالذي تريده من ابنة مجرم .. " .

قلت بحسرة :

" لا ذنب لها في الموضوع ، أعمال والدها القذرة لا تهمني مطلقا .. " .

_" لا تهمك ؟ هل تظن بأن عائلتك سترضى بها بعد كل ما حدث ؟ " .

قلت :

" ولكنني أريدها ، لا علاقة لها في أعمال والدها يا ياسر .. ماذنبها حتى تعاقب على خطأ لم ترتكبه ؟ " .

_" سوف أصاب بالجنون بسببك ، هل تستطيع نسيان الأيام التي قضيتها في السجن بسبب حبك لها ؟ " .

قلت :

" ربما أنسى .. لا يمكنك فهم ما أشعر به .. " .

حذيفة الشاب الذي كان معي في السجن خرج أيضا برغبة كبيرة في الانتقام من السيد عمر ولكنني أوصيته بألا يتجرأ و يقترب من عائلته لأنه سيجدني في وجهه بمدافع و قنابل ...

غياب مريم عني لم يطل طويلا كما توقعت فقد جاءت لرؤيتي .. لو أقل بأنني لم أفرح فإنني سأكون أكبر كذّاب على وجه الأرض .. كانت الفرحة كبيرة للغاية فقد اشتقت لها فعلا ..

" إياد كيف حالك ؟ " .

قلت :

" بخير الحمد لله .. وأنتِ ؟ " .

_" الحمد لله .. أنا هنا لأخبرك بشيء و أرحل " .

أجبت بحيرة :

" عسى أن يكون خيرا .. " .

ردت بخجل :

" والدي يرغب في رؤيتك ، إنه مصر على ذلك .." .

_" يريد رؤيتي ؟ يستحيل أن أذهب لرؤيته يا مريم .." .

ردت بإلحاح :

" أرجوك يا إياد ، فلتذهب لرؤيته مرة واحدة فقط .." .

قلت :

" لا بأس ، سأذهب لزيارته غدا .." .

قالت :

" أعدك بأنني لن أزعجك مجددا .. " .

_" أنتِ لا تزعجينني يا مريم ، بالعكس تماما ولكن والدك سبب لي مشكلة كبيرة لم أكن لأخرج منها لولا رحمة الله .." .

ردت مبتسمة :

" معك حق ، فلتكن سعيدا يا إياد .. وداعا .. " .

وددت حينها لو أسكنها داخل فؤادي فلا أسمح لأي مخلوق أن يقترب منها ولكن الزمان والمكان لا يسمحان لي بذلك ..

في صبيحة اليوم التالي ذهبت للسجن حيث التقيت بالسيد عمر هناك ..

" كيف حالك ؟ " .

قال :

" سأكفر عن ذنوبي هنا .. " .

سكت قليلا ثم أضاف :

" أرجو أن تسامحني يا إياد .. " .

قلت بتوتر :

" من أجل هذا طلبت رؤيتي ؟ " .

_" نعم ، أريد أن تسامحني على ما بدر مني .. و أيضا .. " .

قلت بفضول :

" و أيضا ماذا ؟ " .

_" أريدك أن تعتني بمريم جيدا ، كما تعلم أنا لا أدري كم سأبقى هنا ." .

قلت :

" مريم لديها عائلة تعتني بها ليست بحاجة إلى شخص آخر .. " .

_" مريم تريدك أنت فقط يا بني لهذا أرجو أن لا تجعلها ضحية أعمالي .. إنها فتاة طيبة و تستحق العيش بسعادة .. " .

قلت :

" لماذا قتلت أمجد ؟ " .

_" لقد كان يملك أدلة ضدي فقام بتهديدي بها .. لهذا قد قتلته . "

ثم أردف :

" ليتني لم أرتكب ذلك الذنب .. " .

كان الندم شديد الوضوح عليه لهذا لم أرغب في إزعاجه أكثر ، قررت ختم الزيارة والمغادرة فورا ..

" كان الله في عونك ، الجميع يقع في الخطأ و المهم أنك أدركته .. "

.

رغبة الانتقام التي راودتني و أنا داخل السجن قد اختفت فجأة !ربما لأنني أحبها !!

عدت إلى البيت حيث كان والدي جالسا في غرفة المعيشة ...

" لقد عدت مبكرا ، ألم تذهب للعمل ؟ " .

قلت :

" كلا ، لم نعمل اليوم .. " .

" أين أمي ؟ " .

أجاب :

" في المطبخ .. " .

_" عصافير بطني تزقزق من شدة الجوع ، أتناول شيئا على عجل و أذهب .. " .

رد :

" إلى أين ؟ " .

قلت :

" أستنشق بعض الهواء .. " .

_" لقد تخلصنا من ذلك المعتوه أخيرا .. أريد أن أعرف كم سنة سيبقى في السجن .. " .

قلت :

" لا شيء واضح لحد الساعة .. دعنا منه يا أبي ... " .

توجهت صوب المطبخ حيث كانت والدتي تعد وجبة الغذاء ..

" يالهذه الرائحة الزكية .. مالذي تعدينه ؟ " .

_" فلتجلس ، سينضج قريبا ونتناول الوجبة معاً .." .

رن هاتفي مرة فلم أجب .. رن مرة أخرى .. أجبت قائلا :

" مرحبا ، من معي ؟ " .

صوت أنثوي يجيب :

" أنا رزان يا إياد .. لقد خُطفت مريم .. " .

صرخت قائلا :

" ماذا ؟ تقولين مريم .. من وكيف ومتى !!! " .

_" لست أدري ، لقد ترك لنا رسالة .." .

قلت بفزع :

" رسالة ! مالذي كُتب فيها؟ " .

_" شخص ما يرغب في الانتقام من والدي عن طريق شقيقتي مريم .. أخشى أن يصيبها مكروه ما ، أرجوك ساعدنا .. " .

أجبت :

" هل أخبرتم الشرطة ؟ " .

_" نعم .. " .

قلت :

" أنا قادم ..." .

كانت والدتي تنظر بقلق واضح ..

" مالأمر ، هل خُطفت فعلا ؟ " .

قلت بخوف :

" أجل ، سأذهب فورا .." .

أمسكت والدتي يدي بقوة قائلة :

" لن تذهب إلى أي مكان ، ما علاقتك بها ، لديها عائلة لا تقلق .." .

قلت :

" كلا ، لا يمكنني يا أمي .. تعلمين أنني أحبها و إن حدث لها مكروه فإني لن أسامح نفسي مطلقا .." .

ردت :

" الذنب ذنب والدها ، لن أسمح لك بالاقتراب مجددا .." .

_" عذرا أمي ، لا أستطيع البقاء في البيت دون فعل شيء .. " .

خرجت من البيت مسرعا متجها إلى بيت السيد عمر ..

كانت رزان ووالدتها تبكيان بحرقة ..

" أيمكنني الدخول ؟ " .

ردت رزان :

" طبعا ، تفضل .." .

قلت :

" متى حدث هذا يا رزان ؟ ".

_" اليوم فقط .. أنا خائفة للغاية .." .

ردت والدتها :

" الرغبة في الانتقام تجعل صاحبها يقدم على فعل أشياء مجنونة .. أخشى أن يسبب لها مكروها .." .

مرت الساعات و نحن على تلك الحال ، قررت البحث عنها بمفردي لهذا فقد اتصلت بصديقي ياسر عسى أن نصل إلى الخاطف معا ...

" ياسر أيمكنك المجيء إلى بيت السيد عمر ؟ " .

أجاب :

" بيت السيد عمر ! هل حدث أمر ما ؟ " .

قلت :

" أحكي لك لاحقا .. أنا بانتظارك .." .

بعد مضي نصف ساعة وصل ياسر ..

" مالأمر ؟ " .

ردت رزان باكية :

" لقد اختُطفت مريم .." .

نظر إلي بذهول تام مضيفا :

" متى حدث هذا ؟" .

قلت بتوتر :

" ليس هنالك الكثير من الوقت للشرح ، نتحدث في الطريق فلنذهب الآن وبسرعة .." .

ردت رزان :

" سأذهب معكما .." .

قلت :

" كلا ، لا يمكن .. ستبقين هنا .." .

ردت :

" كلا ، مريم أختي ولا أريد أن أبقى مكتوفة اليدين .."

أجاب ياسر :

" لا يمكن .. " .

إصرارها على الذهاب حتم علينا أخذها معنا .. لم يفلح رجال الشرطة في العثور على مريم فتفاقم الخوف بيننا .. أفكار شنيعة تراودني وكل خوفي أن يقوم الخاطف بقتلها ..

" أين سنبحث أيضا .. لا أظن بأننا نستطيع العثور عليها .." .

ردت رزان :

" سأتصل برشا مجددا فربما تكون هنالك أخبار جديدة ..." .

أضاف ياسر :

" ليست لدي أي فكرة .. لا أستطيع اتهام أي شخص .." .

وكأن شخصا ما قد صفعني في وجهي بقوة حينها جعلني أتذكر حذيفة الذي كان يتوعد بالانتقام من السيد عمر .. صرخت قائلا :

" حذيفة يا ياسر .. إنه حذيفة .. كيف لم أفكر فيه من قبل .." .

رد ياسر :

" حذيفة !! لا تقل هذا يارجل .." .

انطلقت بأقصى سرعة لي متوجها صوب بيت حذيفة الذي يقع في مكان شبه خال من السكان ..

_" من حذيفة يا إياد ؟ " .

قلت :

" شخص يرغب في الانتقام من والدك .. أظن بأنه الفاعل .. " .

أضفت :

" سوف أقتله .. كيف يتجرأ على اختطافها .. كيف .." .

رد ياسر :

" ربما ليس هو ، دعنا نتأكد من هذا أولا .. " .

أضافت رزان :

" وهل تعرف منزله ؟ " .

_ " أجل ، لقد دعاني لزيارته ذات يوم بعد خروجه من السجن .. " .

ردت بفزع :

" هل هو مجرم ؟ " .

أجبت بخوف :

" ربما .. " .

رد ياسر :

"فلتسرع يا إياد .. أتمنى أن لا يتهور ..".

وصلنا إلى بيت حذيفة أخيرا .. التفت إلى رزان قائلا :

" فلتبقي هنا .. إياكِ و الخروج .. " .

أومأت برأسها " حاضر "

قرعت الباب بقوة مناديا حذيفة .. فتح الباب وابتسم فور رؤيته لي ..

" إياد ، كنت سأتصل بك يا صديقي .. لدي هدية ستعجبك فلتدخل .." .

نظر إلى ياسر ثم قال :

" من هذا ؟ " .

أجبت :

" إنه أخي لا تقلق .. " .

دخلنا إلى البيت ، حاولت أن أهدأ لأستطيع معرفة مكان مريم بسهولة .. صوت ما بداخلي يخبرني بأنها قريبة مني ..

" أي هدية ؟ " .

ابتسم بخبث مضيفا :

" تعال معي ، سوف تنال إعجابك .. " .

دخلنا إلى غرفة ضيقة حيث الظلام كان حالكا ..

" الظلام حالك لا أرى شيئا فلتشعل الأنوار يا رجل .. " .

قال :

"حسنا .." .

لم أصدق ما تراه عيناي ، إنها مريم حبيبة قلبي .. كان شكي في محله ..

" إياد .. إياد .. أنقذني أرجوك .. " .

نظرت إلى حذيفة بعد أن احتقنت الدماء في وجهي ، شعرت بأنني أغلي من الغضب .. صرخت بأعلى صوت لي قائلا :

" مالذي فعلته يا حذيفة .. " .

قال :

" ألم نتفق على الانتقام من السيد عمر .. لقد جلبت ابنته كي نتسلى بها قليلا ونلقي بها في القمامة .. " .

توجهت نحوه بسرعة لأوجه له ضربات وضربات .. لكمة وراء لكمة ..

" كيف تجرأت على فعل هذا .. كيف سمحت لنفسك بالاقتراب من مريم .. سوف أقتلك .. " .

انهلت عليه بالضرب حتى كاد يفقد وعيه .. توجهت إلى مريم فقمت بفك الحبال التي كانت تقيدها ..

" هل أنتِ بخير ؟ " .

شعرت بأن رأسها يخترق قفصي الصدري و أظافرها قد غاصت في ظهري ..

عانقتها بحرارة ، كان شوقي لها كبيرا للغاية فاختلط معه الخوف ليصبح الحب الذي في قلبي أقوى ..

" لا تتركني أرجوك يا إياد .. "..

قلت :

" لن أتركَكِ مطلقا .. سأكون معكِ دائماً و إلى الأبد .. " .

قاطعنا ياسر قائلا :

" مالذي نفعله به ؟ أنبلغ عنه للشرطة ؟ " .

رد حذيفة :

" أرجوك يا إياد لا تفعل هذا بي .. أنت تعلم بأنني ضحية السيد عمر لهذا فقد جعلني الانتقام لا أميز بين الخطأ و الصواب .. " .

قلت :

" من يضمن لي بأنك لن تقترب من عائلته مجددا ؟ " .

_" والله أنا أعدك بأنني لن أفعلها مجددا .. " .

نظر إلى مريم مضيفا :

" أنا آسف للغاية .. " .

قلت :

" إياك والاقتراب مجددا .. لن تصدق مالذي سأفعله بك إن فعلت هذا مجددا ..." .

لقد مر حذيفة بفترة صعبة بسبب السيد عمر لهذا فقد بررت فعلته هذه و سامحته ..

عدنا إلى السيارة حيث كانت رزان تنتظرنا ..

"مريم ، أختي .. " .

نزلت من السيارة بسرعة ، عانقت الأختان بعضهما البعض بحرارة ..

قال ياسر ضاحكا :

" لقد أنقذت أختك يا رزان .. ألا أستحق الشكر ؟ " .

ردت رزان بخجل :

" بلا ، شكرا جزيلا لك .. " .

قلت :

" الحمد لله أنها بخير .. فلنعد الآن إلى البيت .. و أنتِ يا رزان فلتتصلي برشا و أخبريها أننا عثرنا على مريم .. " .

قالت :

" والخاطف ألن يعاقب على فعلته ؟ " .

ردت مريم :

" لا داعي لهذا .. لقد سبب له والدي الأذى لهذا فنحن الآن متعادلين .. " ..

_" كلا .. يجب أن يعاقب " .

رد ياسر :

" رزان ، فلتضعي نفسك مكانه واحكمي .. ".

قلت :

" أمره عندي ، لن يتجرأ على فعل شيء .. لا داعي للقلق .. " .

أضفت :

" فلنعد إلى البيت هيا .. إلى السيارة بسرعة .." .

إلحاح والدي على رؤية إياد جعلني ألبي له رغبته لهذا فقد ذهبت إليه بنفسي لأخبره بذلك .. كان اشتياقي له يزداد يوما بعد يوم ولكنني قررت البقاء بعيدة عنه رغما عني ..

تم اختطافي من قبل شاب يدعي الانتقام ، فجاء إياد و أنقذني منه و من تفكيره المنحط .. عدت إلى البيت بعد أن ازداد الحب الذي أكنه له أكثر فأكثر .. عدت بعد أن عاد الأمل مجددا فعادت مريم القديمة معه .. كيف يمكن للحب أن يفعل كل هذا ؟ كيف

له أن يجعلنا ننسى كل ما مررنا به في لحظة واحدة .. كيف له أن يعيد الابتسامة التي اختفت بعد أن قست الحياة على فؤادنا !
مرت الأيام ووالدي في السجن ، تولت رشا مسؤولية الدفاع عنه فبالرغم من كل ما فعله يبقى والدنا الذي نحبه بعمق .. حاولت بشتى الطرق تخفيف العقوبات عنه و بالفعل استطاعت ذلك بعد العديد من الاتصالات التي قامت بها ..
أما قصتي أنا و إياد فقد أصبحت ممنوعة من قبل عائلته بعد أن كان والدي يشكل عائقا كبيرا ..
" لا أظن بأن عائلته سترضى بي بعد كل ما حدث ".
ردت أريج :
" كلا ، سوف يكون إياد من نصيبك أنا متأكدة من هذا .. " .
قلت :
" وهل تظنين بأنه سيتزوج من ابنة مجرم .." .
_" وما دخلك أنتِ في أعمال والدك .. لا أحد منا يختار والديه أو العائلة التي يلد فيها ، هو يحبكِ أنت وهذا يكفي .. " .
ابتسمت مضيفة :
" أتمنى أن يحدث ما أريد يا أريج .. صدقيني لا أستطيع تخيل حياتي مع شخص غيره .. " .
أضفت :
" وكيف أنتما أنتِ و فادي ، هل اتفقتما على الزفاف ؟ " .
قالت :

" ربما بعد شهرين .. لا أريد أن أتزوج قبل معرفة نهاية قصتكما .. ".

ضحكت قائلة :

" لا أظن بأننا سنتزوج .. " .

قاطعتني رزان قائلة :

" لماذا ؟ أنتما تحبان بعضكما بشدة مالذي يعرقل هذا الزواج ؟ ".

قلت :

" أنتِ تعلمين جيدا يا رزان مالذي يعرقله .. لا أظن بأن والديه سيقبلان بي .. " ..

ردت بثقة :

" سيقبلان .. سيقبلان .. " .

استأذنت أريج للذهاب قائلة :

"فادي بانتظاري في الخارج ، يجب أن أخرج .. " .

قلت :

" نلتقي في المشفى غدا بإذن الله .. " .

بعد ذهاب أريج توجهت إلى غرفتي مباشرة ، التفكير في إياد يجعلني أبتسم تلقائيا .. يالله كم أحبه ..

لحقت بي رزان بعد ذلك .. جلست بالقرب مني ، كانت مترددة كثيرا ..

" مريم أريد أن أسألك سؤالا .. " .

قلت :

" نعم .. ماهو ؟ " .

_" ياسر .. صديق إياد يعني .. هل هو مرتبط ؟ " .

ضحكت مجيبة :

" لا أظن ذلك .. لماذا ؟ " .

أمسكت خصلة شعرها مضيفة :

" أظن بأنه شخص رائع للغاية .. " .

_" لا تقولي بأنه قد نال إعجابك .. ".

رمتني بالوسادة قائلة :

" نعم .. " .

قلت :

" إياد يعتبره أخا له .. لا شك من أنه رائع مادام إياد يحبه .. ".

ابتسمت مضيفة :

" أجل أظن ذلك .. " .

ثم أردفت :

"والآن مالذي سنفعله ؟ " .

أجبت بحيرة :

" ماذا ؟ ".

تأفأفت قائلة :

" كم أنتِ غبية .. لا داعي لأن تفعلي شيئا .. أنا سأجمعكما .. " .

_" لا تتصرفي بحماقة يا رزان .. دعي الأمور تأتي كما كتبها الله .. " .

قالت :

" وأنا لا أعترض على حكمه ولكنني أستطيع تغيير مجرى الرياح يا أختي .. " .

_" مالذي تقولينه .. ".

قالت :

" سأعود مساءا .. وداعا .. " .

قلت :

" مالذي ستفعلينه أيتها المجنونة .. " .

خرجت رزان من غرفتي بسرعة ، لا أدري مالذي تخطط له .. عسى أن يكون خيرا ..

في المساء عادت رزان والبسمة ترافقها ..

"ما سر هذه السعادة ؟ " .

ردت بثقة :

" ببساطة ، أخبرت عائلة إياد بأننا من أخرجه من السجن .. " .

قلت :

" هل أخبرتهم فعلا ؟ " .

_" نعم .. رأيت أن والدة إياد قد اقتنعت بكلامي .. " .

أجبت :

" وهل تظنين بأن لقصتنا فرصة ؟ " .

_" متأكدة بالطبع .. ".

عاد الأمل .. عادت البسمة و عادت البهجة .. سأتزوج من إياد أخيرا ..

كان والداي يعترضان زواجي من مريم ولكن اختطافها من قبل حذيفة جعل والدتي تفهم مقدار حبي لها .. فور عودتي إلى المنزل فتحت والدتي الباب قائلة :

" لقد شرفتنا أخيرا .. تفضل هيا .. ".

قلت :

" مابك ؟ " ..

_" ألم أقل لك لا تذهب ولكنك لم تستمع إلى كلامي .. " .

عانقت والدتي مضيفا :

" أرجو أن تتفهمي شعوري يا أمي ، صدقيني لا أستطيع تخيل حياتي دونها ...".

_" وماخطب ابنة خالتك سهير ، فلترتبط بها وننتهي من كل هذا .. " .

أجبت بانزعاج :

" لا أريدها يا أمي .. لا أريدها .." ..

قاطعنا والدي قائلا :

" هل عثرتم عليها ؟".

أجبت :

" أجل .." .

دخلنا إلى غرفة المعيشة حيث تبادلنا أطراف الحديث الطويل ..

" والدي .. والدتي أرجو أن تقفا معي ، أنا أريد الزواج من مريم .." .

ردت والدتي بانزعاج :

" لن يحدث هذا مطلقا ، والدها مجرم وهو غير موافق على زواجكما لهذا لن نوافق نحن أيضا و إلا فإنه سيدمر حياتك .." .

أضاف والدي:

" والدتك محقة .. سوف يستشيط غضبا إن تزوجت بها ، دعك منها يا بني ، ماخطب ابنة خالتك حتى لا ترضى الزواج بها .." .

قلت بقليل من التوتر :

" لقد طلب رؤيتي وذهبت إليه .. ليست لديه أي مشكلة بعد الآن بل هو من طلب مني الاعتناء بمريم.. " .

رد والدي غير مصدق :

" متى ذهبت ياولد .. ".

قلت :

" لم أخبرك بذلك خوفا من انزعاجك ولكن الندم واضح عليه يا أبي.. " .

أضفت :

" لا أريد شيئا مستحيلا ، حققا لي حلمي أرجوكما .. " .

قاطعتنا ميسون قائلة :

" العشاء جاهز يا جماعة .. الجوع يخترق أمعائي .. " .

ضحك والدي مجيبا إياها :

" سوف نأتي على عجل .." .

ردت والدتي :

" في المطبخ ؟ " .

أجابت ميسون بكسل :

" أشعر بالتعب يا أمي .. نتناوله في المطبخ أمر عادي .. " .

قلت :

" لا بأس أيتها الكسولة .. سوف نأتي حالا .. "

بعد مرور الأيام استطعنا معرفة من أخرجني من الجحيم الذي كنت فيه .. فقد أتت رزان إلى منزلنا حيث أخبرتنا بالحقيقة التي لم نكن نعلمها ..

دخلنا إلى غرفة المعيشة جميعنا ، أنا ووالدي .. والدتي ، جاد ورزان ..

قالت والدتي :

" عسى أن يكون خيرا ، مالذي تريدينه ؟ " .

ردت :

" أردت أن أخبركم بشيء ما .. " .

أجاب والدي :

" مالأمر ؟ " .

قلت :

" أخبرينا مالأمر يا رزان .. " .

_" أردت أن تعرفوا حقيقة أننا من أخرجك من السجن وأن والدي قد سلم نفسه بسبب مريم التي واجهته بجريمته .. " .

أجبت غير مصدق :

" مالذي تقولينه ؟ " .

أجابت مؤكدة :

" بلا ، نحن من أخرجك من السجن .. أعني أنا ومريم .. " .

ردت والدتي :

" كيف هذا ؟ لا أصدق أنكما فعلتما هذا من أجل ابني .." .

_" بلا ، حتى أن مريم فعلت ما باستطاعتها لتنقذ إياد .. صدقيني شقيقتي تحبه للغاية ولا ترغب في العيش دونه .. أردت إخباركم بالحقيقة عسى أن تغيروا رأيكم .. " .

رد والدي :

" شيء عظيم .. أنا ممتن لكما ، لقد أنقذتما ابني .. " .

أمسكت والدتي يد رزان قائلة :

" أريد أن أسمع كل الحقيقة.. أخبرينا لطفا .. " .

روت رزان كل ما جرى معهما ، تظاهر مريم بالمرض لإلهاء والدهما .. وقوفها في وجهه ودفاعها عني ، كل هذا جعل والداي يشعران بالامتنان لها .

غادرت رزان بعد أن غيرت رأي والداي ، فقد وافقا على زواجنا أخيرا ..

بعد كل ما مررنا به سأتزوج منها أخيرا .. أتى اليوم الذي انتظرته طويلا .. الكل مشغول بتجهيزات حفل الخطوبة ..

" إياد ، فلتشتري خاتما جميلا يا بني .. " .

قلت ببهجة :

" أجل ، أظن أنه من الأفضل لو تذهب مريم معي .." .

أيدتني ميسون قائلة :

" نعم ، فلتختر الخاتم بنفسها .." .

أضافت والدتي :

" هل أخبرت والدها بما يحدث ؟ " .

_" طبعا .. " .

اجتمعت العائلان ووُضعت الخواتم .. لقد أصبحت مريم لي أخيرا ..

بعد مرور شهر تزوجنا ، زاد الحب الذي بيننا أكثر فأكثر .. أصبحنا نذهب لزيارة والدها في السجن في كل فرصة ، رزان ارتبطت بصديقي ياسر بعد إعجابهما الكبير ببعضهما البعض ورشا أقيم حفل زفافها بعد شهرين ...

في أحد الليالي اجتمعنا كالعادة في غرفة المعيشة جميعنا ، لا أستطيع التصديق بأن مريم أصبحت معي وزوجة لي .. أنظر إليها بين الفينة و الأخرى مبتسما ، لاحظ جاد نظراتي المليئة بالحب فقال بمرح :

" إياد ماهذه النظرات يا رجل ! ".

ردت والدتي ضاحكة :

" دعه ياجاد ، أتمنى أن يديم الله سعادته .." .

قلت :

" إن شاء الله .." .

كان الحب الكبير الذي في قلبي كفيلا بجعلي أنسى كل ما حدث و لأنني أحبها فإنني جعلتها زوجة وشريكة لي رغم كل ما تعرضت له من مشاكل ..

الحب الحقيقي تضحية .. هو التقاء روحين عند نقطة مشتركة تدعى الغرام ، جمع الله بين كل المتحابين في حلاله .

مع منتصف النهار كنت أنا ومريم في غرفتنا ، سألتني حينها عن قدومي للمشفى حين وقوع الحادث لها ..

" عزيزي لم تخبرني ، من أخبرك أنني في المشفى يومها ؟ " .

أجبتها قائلا :

" لقد كنت مارا من نفس الطريق الذي وقع لكِ الحادث فيه ، حينها رأيتكِ فجن جنوني .. صعدت إلى سيارة الإسعاف و طرنا معا نحو المشفى .. " .

رن هاتفي فجأة ، كان ياسر المتصل ..

" أين أنت يا رجل ، منذ تزوجت لم نعد نقضي الوقت معاً كالسابق .. " .

أجبت بمرح :

" وهل زوجة أخيك تسمح لي بالخروج .. " .

_" وتزوجتها يا رجل ، والله قصتكما عجيبة .. استطعت أن تفي بوعدك .. " .

قلت :

" نعم ، أتذكر اليوم الذي أخبرتك فيه بأنك ستكون شاهدا على عقد قراننا ؟ " .

_ " أجل ، أذكره كأنه حدث بالأمس فقط .. " .

أضاف :

" الحب يفعل المعجزات يا رجل .. " .

أمسكت بيدها قائلا :

" و لأنني أحبها فإني سأفعل المستحيل من أجلها .. " .

أغلقت الخط ، نظرت إلى عينيها ثم أضفت :

" أنا أحبك .." .

أكملت بقية حياتي رفقة مريم ، بعد عام من زواجنا رزقنا بطفلتنا الأولى .. اختارت والدتها اسما جميلا للغاية " براءة " ..

" عزيزتي لماذا اخترتِ هذا الاسم بالضبط ؟ " .

ردت مبتسمة :

" براءة الحب الذي جمعنا من كل التهم .. براءة زوجي من الجريمة التي نُسبت إليه بسبب حبه لي .. براءة حبنا من قفص الاتهام .. " .

عانقتها بحرارة قائلا :

" ليكن اسمها براءة .. " .

أردت أن أخبركم بأن الحب إحساس جميل للغاية ، أن تكمل حياتك رفقة من خفق قلبك له أمر يجعلك ترتقي إلى السعادة الكبرى ....

فإن كان من أحببت من نصيبك فاعلم بأنه لو اجتمع الناس أجمع على إبعاده عنك فلن يستطيعوا ذلك مطلقا .. أدام الله نبض قلوبكم أحبتي .